اللغه الوجدانية (غير اللفظية) في الحديث النبوي الشريف
أحاديث مختارة من الجامع اصلحيحي للإمام البخاري أنموذجا

اعداد
هند علي محمد الغامدي
ماجستير لغة عربية تخصص اللغويات
جامعة الملك عبد العزيز بجدة

ملخَّص البحث:

يـدرس هـذا البحـث اللغـة الوجدانيـة فـي الحـديث النبـوي الشـريف؛ فيقـف علـى تعريـف اللغـة الوجدانية،وأهمِّ مصادرها وأشكالها بصفة عامة، ثمَّ يقف على اللغة الوجدانية غير اللفظية بشكل خاص، نظريًا،وعمليًا من خلال التطبيق على مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة المختارة من الجامع الصحيح للإمام البخاري؛ بغية بيان أهمية الجانب الوجداني من اللغة وتأثيره في التفاهم والتواصل والسلوكات الإنسانية؛وذلك بالوقوف على مواطن من ذلك التأثير في الحديث النبوي الشريف، وكان من أهمِّ النتائج أنَّ حضور اللغة الوجدانية بصفة عامة وغير اللفظي منها بصفة خاصة في أكثر الجوانب موضوعية وحيادية وهو الجانب الديني والتشريعي، واستعمالها في الإبلاغ والتمكين-دليل على أهميتها وضرورة تتبع حضورها وتأثيرها في جميع ألوان التعبيرالإنساني، ودعوة إلى إجراء مزيد من الدراسات النَّظرية والتطبيقيَّة الجادة والمكثَّفة في هذا الجانب من اللغة في جميع مجالات الحياة الإنسانية، وعلى كافة الأصعدة الفردية والاجتماعية والعربية والعالمية؛ لإبراز طاقات اللغة العربية، والتعريف بكنوزها، واستثمارها في رفع شأنها بين لغات العالم.

Abstract

This research examines the emotive language of the Prophet's Hadith. It stands for the emotive language's definition, important sources and forms in general. Theoretically and practically, this research focuses on the emotive and non-verbal language in particular. That is through the application on a set of the Prophet's Hadiths selected from al-Jaami’ al-Sahih of Al-Imam al-Bukhaari; in order to demonstrate the importance of the emotional side of the language and its impact on understanding, communication and human behavior. That was achieved through focusing on examples of that influence in the Prophet's Hadith. One of the most significant results was that the presence of the emotive language in general and the non-verbal in particular in the most objective and neutral aspects, which are the religious and legislative aspects - and their use in reporting and empowerment, is an evidence of its importance. It is a necessity that need to be searched for and its influence in all parts of human expressions. It is also a call for more serious theoretical and practical studies in this portion of the language in all areas of human life. Individual, social, Arabic and global levels should highlight the energies of the Arabic language, define its treasures and make use of them in raising the Arabic language position among others in the world.

المقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسلامُ على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدِّين، وبعد:

فإنَّ اللُّغة هي وسيلة التواصل بين البشر؛ يعبِّرون بها عن أفكارهم ورغباتهم ومشاعرهم وعواطفهم وانفعالاتهم، ويؤثِّرون بها ويتأثرون، وبها تسير حياتهم وتقضى أمورهم.

وقد كثر القول في الوظائف التي تؤديها اللغة، وفي الأساسية والثانوية منها، وفي تقديم بعض تلك الوظائف أو تأخيرها، إلا أنَّ ممَّا لاشك فيه أنَّ التعبير عن العواطف والمشاعر والانفعالات ومخاطبتها والتأثير فيها من الأهداف الأساسية في كلِّ لغة وأحد أهمِّ وظائفها؛ فالإنسان لايتكيّف مع واقع حياته كفرد داخل مجتمعه في مجتمع الإنسانية الكامل إلا إذا تحقَّق له ذلك التعبير والتأثير؛ بل إنَّه يمكن الجزم بعدم قدرة الإنسان على إيصال أفكاره إلى الآخرين، واستقبال أفكارهم بمعزل عن عواطفه ومشاعره وانفعالاته، وعواطفهم ومشاعرهم وانفعالاتهم.

ولعلَّ من أوائل الذين أعلوا هذا الجزء من اللغة؛ الجزء الخاص بالمشاعر والعواطف والانفعالات، العالم اللغوي الفرنسي جوزيف فندريس[1] (1875-1960م)، والذي رأى أنَّ الإنسان لا يتكلم ليصوغ أفكارًا فحسب، وإنَّما يتكلَّم ليؤثِّر في أمثاله، وليعبِّر عن حساسيته، ورأى أنَّه لا يمكن أن يخلو التعبير عن أيَّة فكرة من لون عاطفي [2].

وانطلاقًا ممَّا سبق، ومن الإيمان بأهمية الجانب الوجداني من اللغة وحضوره في جميع ألوان الكلام ومجالات الحياة الإنسانية؛ بحيث لا يمكن تصور لغة خالية من الإحساس، ولا كلامًا خاليًا من التأثير، ولا تواصل خاليًا من المشاعر والعواطف والانفعالات، ولدت سلسلة من الأفكار المتعلِّقة بالبحث في اللغة الوجدانية، ومنها فكرة هذا البحث الذي يدرس جانبًا من جوانب اللغة الوجدانية؛ وهو الجانب غير اللفظي منها؛ ويقصد به لغة الجسد ومصاحبات اللغة؛ متخذًا الحديث النبوي الشريف الذي يتصدَّر كلام البشر فصاحة وبلاغة وإبلاغًا مجالًا للتطبيق.

وقد تناول هذا البحث أربعة محاور، وهي:

أولًا: اللغة الوجدانية: تعريفها ومصادرها وأشكالها.

ثانيًا: اللغة الوجدانية في الحديث النبوي الشَّريف.

ثالثًا: اللغة الوجدانية غير اللفظية.

رابعًا: نماذج من اللغة الوجدانية غير اللفظية في الحديث النَّبوي الشريف.

وانتهى البحث إلى خاتمة ضمت أهمَّ النتائج والتوصيات، سائلة المولى عزَّ وجلَّ التوفيق والسداد في النِّيَّة والرأي والقول والعمل.

أولًا: اللغة الوجدانية:

- **تعريف اللغة الوجدانية:**

اللغة الوجدانية [3] حسب ما يرى هذا البحث هي اللغة التي تعبِّر عن الوجدان والعواطف والمشاعر والانفعالات الإنسانية، وتخاطبها؛ باستعمال أشكال تعبيرية متنوِّعة لا حصر لها؛ منطوقة ومكتوبة، لفظية وغير لفظية؛ مستمدة من جميع مستويات اللغة ومصادرها اللُّغوية والإبداعية والجمالية والنَّفسية والاجتماعية، محدثة تأثيرًا ما مقصودًا أو غير مقصود في السلوك الإنساني.

- **مصادرها وأشكالها:**

تتنوع أشكال التعبير الوجداني أو اللُّغة الوجدانية بتنوع المصادر التي تُستقى منها والتي تنبعث منها؛ فمنها المصادر اللغوية: الصوتية؛ كاختيار أصوات معيَّنة مفخمة أو مرققة مستعلية أو مطبقةو غير ذلك من صفات، أوترتيبها بطريقة معينة، أو استعمال النبر والتنغيم، والصيغ الصرفية؛ كاختيار صيغ دون أخرى لمعانٍ معيَّنة؛ كصيغ المبالغة وصيغة التفاعل والفعللة وغيرها، واستعمال تراكيب نحوية؛ كاستعمال تراكيب معينة سواءً أكانت تلك التي اتفق النحاة على كونها تراكيب انفعالية؛ كأسلوب التعجب، والمدح والذَّم، والتحذير وغيرها، أم غيرها من أبواب النحو كالنعت والبدل واستعمال بعض الضمائر في بعض المقامات كضمير نحن في مواقف التفخيم والفخر والإعجاب بالذات، والمصادر المعجمية والدلالية؛ كاستعمال كلمات دون أخرى يمكن أن تؤدي المعنى لسبب عاطفي أو انفعالي، وكاستعمال كلمات لها معانٍ هامشية وإيحائية،ومنها المصادر الإبداعية والجمالية؛ البلاغية والأدبية؛ كابتكار استعمالات جديدة للكلمات أو تراكيب جديدة أو صور جديدة أو إحياء كلمات مندثرة في استعمالات مدهشة، أو استثمار التقديم والتأخير في التراكيب والحذف والذكر والإيجاز في أغراض تأثيرية وجدانية، ومنها المصادر النفسية والاجتماعية؛ كاستعمال لغة خاصة بشخصية مشهورة وترديد عباراتها بوعي أو بدون وعي، أو التعبيربكلمات أو عبارات فيها خلط أو خطأ أو غير متوقَّعة في مواقف الانفعال الشديد حزنًا أو فرحًا أو خوفًا أو غضبًا، أو اللجوء إلى الإتباع والمزاوجة والتعبيرات الاصطلاحية والأقوال المأثورة والحكم والأمثال استعاضة بها عن الكلام العادي في التعبير عن الأفكار والوجدان ووصف المواقف أو العواطف والمشاعر، أو استعمال لغة خاصة لكسب الجماهير؛ لأغراض دينية أو اقتصادية أو إعلامية أو سياسية أو غيرها، ومنها حركات الجسد الإنساني وإشاراته التي قد يكتفى بها عن اللغة الملفوظة أو قد تكون مصاحبة لها، ومنها ما يمكن أن يُسمَّى مصاحبات اللغة سواءً أكانت تلك الحركات والإشارات أم التعبيرات الصوتية المرافقة والرسوم والأشكال التوضيحية و غيرها ممَّا يمكن أن يدخل تحت هذا المُسمَّى.

ثانيًا: اللغة الوجدانية في الحديث النبوي الشَّريف:

حوى الحديث النَّبوي الشريف كثيرًا من الأشكال التعبيرية الوجدانية التي كانت إحدى وسائل الإبلاغ النبوي لتعاليم الدِّين الإسلامي الحنيف دين الحياة بكلِّ ما فيها من تنوعات؛ فهو دين الدنيا ودين الآخرة، دين العلم والعمل، دين الاتصال والتعامل بين البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأديانهم، دين الأخلاق والآداب في المشرب والمأكل والملبس والنوم واليقظة وسائر مظاهر الحياة الإنسانية؛ ولذا فقد كان من الطبيعي أن يكون له وسائل لغوية متنوِّعة في التعليم والإفهام والتأثير والإقناع والإبلاغ والتَّمكين؛ ومنها استعمال اللغة التي تخاطب القلب والوجدان بكلِّ ما يشمله من عواطف ومشاعر وانفعالات؛ تمهيدًا للتأثير المفضي إلى الإقناع بالفكرة؛ وصولًا إلى الإبلاغ المؤدي إلى التمكين وتحويل القول إلى منجز فعلي في حياة البشر؛ إذ إنَّ فهم الفكرة والعلم بها ليس كافيًا لتطبيقها مالم تخالط الوجدان وتمتزج به، واللغة الوجدانية التي تخاطب مشاعر الإنسان وعواطفه وانفعالاته هي إحدى الأدوات المهمَّة في إحداث هذه المخالطة وذلك الامتزاج، ويحضُر هنا عدد من الآيات القرآنية التي تبين أهمية الوجدان

والعواطف والمشاعر والانفعالات في اهتداء الإنسان أو ضلاله وفي مسيرة حياته، ودور القلب في ذلك؛ ومنها قوله تعالى: **(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)** [4]، كما يحضر حديث المصطفى الذي بيَّن في نهايته أهميَّة القلب ودوره في صلاح واستقامة حياة الإنسان؛معقِّبًا بذلك على ما جاء في الحديث من تقسيم للحلال الواضح والحرام الواضح وما بينهما من أمور مشتبهة قد يقع فيها الإنسان مالم يتقِ الوقوع فيها، والقلب سيِّد الموقف في ذلك: **" الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"** [5].

وهذا الحديث وصفه الطيبيبأنَّه بحر لا ساحل له، وذكر أنَّه أحد ثلاثة أحاديث اتفق العلماء أنَّ عليها مدار الإسلام[6]؛ وفي هذا ما يؤكِّد دور اللغة التي تخاطب القلب والوجدان في الإبلاغ.

وقد استعمل الرسول ص اللُّغة الوجدانية التي تخاطب الوجدان والعواطف والمشاعر والانفعالات بأشكالها التعبيرية المتنوِّعة اللفظية وغير اللفظية، والمنتمية إلى مصادر متعدِّدة لغوية، وجمالية وإبداعية، ونفسية واجتماعية،وجسديَّة،إضافة إلى مصاحبات اللُّغة المنطوقة؛ ممَّا يوضح المعنى أو يزيده وضوحًا أو يؤكده، وذلك الاستعمال هو أحد مظاهر البلاغة النَّبوية التي آتاها الله نبيَّه وهيأها له ومكنه منها لتبليغ الرسالة، و الوقوف على اللغة الوجدانية بأشكالها المتنوعة التي ازدانت باستعمال الرسول إياها في الأحاديث الشريفة، وتأثيرها في السامعين والمخاطبين إلى يوم الدِّين مهم في خدمة هذه اللغة العظيمة وإعلاء شأنها بين اللغات وفي خدمة هذا الدين العظيم وتبليغه؛ ولذا فقد اختار هذا البحث الوقوف على أحد جوانبها في الحديث الشريف وهو الجانب غير اللفظي، وتأثيره في الإبلاغ والإقناع والتمكين.

ثالثًا: اللغة الوجدانية غير اللفظية:

تعدُّ اللُّغة الوسيلة الأساسية في التَّعبير والتأثير والتفاهم والاتِّصال الإنساني، ولكنَّ مفهومَ اللغة لا يقتصر على اللغة اللفظية Verbal language سواءً أكانت منطوقة أم مكتوبة، بل قد يتسع ليشمل ما يمكن أن يسمى باللغة غير اللفظيَّة non-Verbal language؛ لأنَّها تتميَّز بصفة التعبير؛ وهي كلُّ أسلوب أو وسيلة يعبِّر بها الإنسان عن فكرة أو انفعال معين، كالصورة، والموسيقى، والحركة، والأشياء والأجسام، والإشارة وغيرها [7].

ويُركِّز البحث على جزء من تلك اللغة غير اللفظية، وهو ما يخصُّ تعبيرات الوجه والعيون والإشارات وحركات الأيدي والأجسام؛ ممَّا يسمى بلغة الجسد أو علم الكينات، ويضيف إليها أيضًا التعبيرات الصوتية التي تأتي في أثناء الكلام كرفع الصوت أو خفضه، أو التشديد على نطق أصوات معينة ونبرها، وإرخاء أخرى، أو التوقفات في نهايات الجمل أو أواسطها، أو تنغيم الكلام، والرُّسوم التوضيحية وهو ما يُسمَّى إلى جانب ما سبق بمصاحبات اللُّغة.

وتعدُّ حركات الجسد وإشاراته وسائر ما يمكن أن يندرج تحت مسمَّى مصاحبات اللُّغة من الوسائل المساندة للغة المنطوقة بل والمكتوبة أحيانًا حين يتمُّ وصفُ الحركات والإشارات ونبرات الصوت المعبِّرة عن المعاني والأفكار والعواطف والانفعالات كتابةً، بل وقد تغني تلك المصاحبات أحيانًا عن الكلام، ولاسيَّما في مجال التعبير عن العواطف والانفعالات لدى المتكلِّم أو السامع؛ حيثُ قد تقصِّر اللُّغة اللفظية عن التعبير عن المراد، فتأتي لغة الجسد لتدعمها وتُكمل نقصها، أو تقوم بالمهمة كاملة؛ فتغني عن اللغة

اللفظية تمامًا، ويدلُّ على ذلك استعمال كتاب الله المعجز في البلاغة والفصاحة القرآن الكريم لغة الجسد وهذه المصاحبات، كوصف تعبيرات الوجه والعينين، وإشارات اليدين، وحركات الجسد، وكذلك في لغة الحديث النبوي الشريف، وهو العمدة في الفصاحة والبلاغة بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ.

و يُعدُّ القرآن الكريم أهمَّ مصدر لعلم لغة الجسد؛ لأنَّه يزوده بالأمثلة التي لا يمكن للباحثين جمعها من خلال أبحاثهم الميدانية، كما يزوده بنواة معجم لمفردات عدد من القنوات الاتصالية غير اللفظية، كقناة الاتصال بالهيئة وأوضاع الجسم، وكقناة العين وغيرها [8]؛ حيث يُؤرِّخُ لكثير من السلوكات التعبيرية غير اللفظية ومظاهر التواصل غير اللفظي منذ بدء الخلق وإلى قيام الساعة، ويضفي طابع العالمية على بعضها ممَّا لم تتغيَّر دلالته إلى اليوم؛ كالتعبير عن النَّدم بعضِّ الأنامل، والتعبير عن الذِّل والخضوع بطأطأة الرأس، وغيرها من السلوكات التعبيرية والمظاهر العالمية التي تتناسب مع عالمية الرسالة الإسلاميَّة [9].

وكذلك تعدُّ السنَّة النبويَّة الشريفة والتراث الفكري الإسلامي والعربي من المصادر المُهمَّة في تزويد هذا الجانب بأمثلة لأشكال تعبيرية غير لفظية؛ يمكن استثمارها في محاولة فهم الاتصال البشري في المجتمعات وتيسيره [10].

وقد اهتمَّ مفسرو القرآن الكريم وشارحو الحديث النبوي الشريف وعلماء العربية القدماء بلغة الجسد وإشاراته وحركاته؛ فوقف مفسرو القرآن الكريم على ما تضمَّنه القرآن الكريم منها، واجتهدوا في تفسيره وبيان أثره في إيصال المعنى، ونقل رواة الحديث ما صدر منها عن الرسول صلى الله عليه وسلَّم، ووقف شارحو الحديث عليها وبينوا دورها وأثرها في المعنى، وكذلك فعل بعض علماء اللغة القدامى حين ذكروا الإشارات والحركات ودورها في إيصال المعنى، ومنهم الجاحظ الذي عرَّف البيان بأنَّه "اسم جامع لكلِّ شيء كشف لك عن قناع المعنى..." [11]، وذكر أنَّ الهدف الذي يطمح إليه القائل والسامع هو الفهم والإفهام، وأنَّ البيان يكون بأيِّ شيءٍ يتمُّ به الإيضاح عن المعنى والإفهام، وأنَّ أصناف الدلالات على المعاني خمسةٌ؛ وهي: اللفظ، والإشارة، والعقد، والخط، والحال الدَّالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، وتسمى نِصبْة [12]، وبيَّن أنَّ الإشارة تكون باليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب، وبالمنكب، وبالثَّوب، وبالسيف والسوط، كما ذكر أنَّ الإشارة واللفظ شريكان، وأنَّ الإشارة نعم العون للفظ، ونعم الترجمان عنه، وكثيرًا ما تنوب عنه، إضافة إلى أنَّ في الإشارة بالطرف والحاجب وغيرهما من الجوارح معونة كبيرة في أمور يسترها ويخفيها الإنسان عن بعض النَّاس، ولولاها لم يتفاهم النَّاس في معنى خاص الخاص، ورأى أنَّ حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان في مواضع وأوضاع مختلفة [13].

ومنهم أبو منصور الثعالبي الذي وقف في كتابه "فقه اللغة وسر العربية" على جملة من حركات الجسد وإشاراته في أبواب وفصول عدة، ومنها: الباب الخامس عشر الذي فصَّل في فصله الثالث عشر حركات العينين، وأعطى لكلٍّ منها مسمى خاصًا تحت ما أسماه "في تفصيل كيفية النَّظر وهيئاته في اختلاف أحواله" [14]، كما أفرد في الباب التاسع عشر الفصل السَّابع في تقسيم الإشارات وضمَّنه الرأس والحاجب والشفة والإشارة بالإصبع في حالة الغيبة، وأفرد الفصل الثَّامن في تفصيل حركات اليد وأشكال وضعها؛معتمدًا في ذلك على ما أخذه عن حمزة الأصفهاني واللحياني وعن ثعلب عن ابن الأعرابي وغيرهم [15].

وتلك الحركات والإشارات والمصاحبات رموز لغوية منظَّمة لها دلالاتها التي لا تفهم إلا من خلال السياق، لأنَّها جزء مهم من مكوِّناته لا يمكن فهم المعنى على الوجه الصحيح دون الإحاطة بها،

وتشمل حالة كلٍّ من المتكلِّم والمستمع وظروفهما النفسيَّة وظروف الحديث وأسبابه، إضافة إلى أنَّ تلك الحركات والإشارات لازمة للكلام المنطوق؛ للإفهام أولًا، ولأنَّها قد تدلُّ على معانٍ إضافية أو متباينة في المواقف اللغوية المختلفة، وتعبِّر عن أفكار المتكلِّم وانفعالاته التي قد لا تظهرها كلماته، وتنقلها إلى الآخرينحسب ما هو متَّفق ومتعارفٌ عليه بين السامع والمتكلم في كلِّ مجتمع بشأن تلك الرموز؛ كرموز للتعبير عن الدلالات المختلفة وفق المواقف المختلفة [16].

ويذكر موفَّق الحمداني أنَّ الإنسان يستطيع إيصال الكثير إلى الآخرين أو قول الكثير دون استخدام اللغة المنطوقة أو المكتوبة، من خلال حركات الرأس والأيدي والكتفين والعيون وتعبيرات الوجه المختلفة، وتأتي هذه الحركات والإشارات مساندة أحيانًا للغة المنطوقة لمزيد من الإيضاح أو التقرير والتأكيد أو حتى النفي، وقد يُستغنى بها عن الكلام في بعض المواقف [17].

ويرى محمد بني يونس علي أنَّ تأثير لغة الجسد أقوى بخمس مرَّات من تأثير الكلمات، ويوردنتائج بعض الدراسات الحديثة التي توصلت إلى أنَّ ما يقارب 55٪ من الأهداف التي يريد المرسل تحقيقها، يصل إليها عن طريق الإيماءات والحركات، في حين تحقِّق العناصر الأخرى النسبة المتبقية وهي 45٪ [18].

وتندرج حركات الجسد وإشاراته تحت ما يسمى بلغة الجسد أو الجسم أو علم الحركة الجسمية أو علم الكينات Kinesics، وهو من العلوم الحديثة نسبيًا، والتي ارتبطت بعلم اللغة من خلال ارتباطها بلغة الكلام وكونها إحدى وسائل التعبير والاتصال الإنساني المساندة للغة الكلام، والتي قد تستقلُّ تمامًا فتعبِّر بمفردها عن أفكار الإنسان وانفعالاته في حالات كثيرة كما سبق الذكر، وعلى الرَّغم من أنَّ أول من اهتمَّ بهذا العلم في أمريكا فرانز بواس Franz Boas وإدوارد سابير Edward Sapir ووستون لابار Weston la Barre؛ حيث أعلنوا أنَّ حركات الجسم شفرة يمكن حلُّ رموزها، إلا أنَّ عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي راي بيردوسل Ray L. Birdwhistell يُعدُّ المبتكر الحقيقي لهذا العلم، فهو الذي بدأ البحث الجاد في هذا العلم حين نشر كتابه "مدخل إلى علم الكينات" عام 1952م [19]، وقد أولى لغة الجسد أهمية كبيرة إلى درجة أنّه لا يمنح لغة الكلام دورًا في التعبير عن المعاني إلا من 30 إلى 35٪ فقط [20]، وقد ابتكر أبجدية من الرسوم أو الرموز يرمز كلَّ رسم فيها إلى حركة جسمية معيَّنة، وتشمل كافة الحركات التي تصدر عن جميع أجزاء الجسم الإنساني [21].

وبغضِّ النَّظر عن أنَّ هناك حركات أساسية مشتركة بين الشعوب في التعبير عن الانفعالات الإنسانية الأساسية، إلا أنَّ لكلِّ شعب حركاته وإشاراته الخاصة، التي يتعلمها الأطفال في السنوات الأولى من حياتهم كما يتعلمون لغة الكلام، وتختلف نسبة تفعيل تلك الحركات في لغة الكلام أو إحلالها محلَّها أحيانًا من شعب إلى آخر؛فقد بيَّنت بعض الدراسات في هذا المجال أن العرب والفرنسيين والإيطاليين مثلًا يُكثرون من استعمال لغة الجسد من حركات وإشارات في كلِّ الأوقات والحالات، سواءً أكانت حالات الهدوء النَّفسي أم الانفعال، في حين يقُلُّ استعمالها عند الأمريكيين [22].

وتقترح فاطمه محجوب أن يتمَّ تعليم الكينات أو الحركات الجسديَّة جنبًا إلى جنب مع تعليم اللغات الأجنبية من أصوات وصرف ونحو ودلالة [23]؛ نظرًا لأهميتها في التواصل بين الناس ووقوفها-كما يراها بعض العلماء، ولاسيما علماء النَّفس والتحليل النفسي وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا-على قدم المساواة مع الكلام المنطوق؛ كوسيلة من وسائل الاتصال والتعبير الإنساني [24]، وكذلك احتلت أهميتها لدى علماء اللُّغة؛كلغة مساندة للغة المنطوقة أو بديلة في بعض الحالات في التعبير الإنساني عن المعاني والأفكار والعواطف والانفعالات.

ويتفق البحث مع ما اقترحته فاطمه محجوب بشأن تطبيق مبادئ علم الحركة الجسمية في تقييم المدرس الناجح والخطيب والواعظ؛ لما للحركة الجسمية من تأثير سلبي أو إيجابي على الجماهير، وبشأن ضرورة تدريب الطُّلاب في المدارس على السيطرة على سلوكهم الحركي تمامًا كما يتمُّ تدريبهم على السيطرة والتحكم في السلوك اللفظي [25].

وكذلك يوصي محمد الأمين موسى أحمد بدراسة ذلك العلم والإلمام بأبرز الرموز غير اللغويَّة التي تصدر عن القنوات غير اللفظية المختلفة، والتَّدرُّب على استغلالها بشكل فاعل في تحقيق المطلوب؛ لأنَّها حاضرة في جميع مجالات الحياة الإنسانية، السياسيَّة والتعليمية والإدارية والاقتصادية والإعلامية وغيرها [26].

ويؤيد البحث تلك المقترحات بشدَّة؛ لما لتلك الحركات والإشارات الجسديَّة من تأثير في نقل المعنى وتوضيحه وتدعيمه وأحيانًا تحويره وتغيير دلالته، ولما قد تنبئ عنه في كثير من الأحيان عن شخصية المتكلم ومكانته الاجتماعية، وما قد تبرزه ممَّا يحاول عدم إظهاره من مشاعره وعواطفه وانفعالاته ومواقفه الشخصية وآرائه الحقيقية.

وقد اجتهد عدد من العلماء في محاولة تحديد وظائف الاتصال غير اللفظي أو لغة الجسد [27]، ومنهم مارك ناب عام 1972م؛ حيث وضع ست وظائف للاتصال غير اللفظي، وهي [28]:

1. التكرار، ويقصد به ترديد السلوك غير اللفظي ما قيل لفظيًا.

2. المناقضة، بمعنى أن تتناقض اللغة غير اللفظية مع ما قيل لفظًا، فتُظهر تعبيرات الوجه مثلًا عكس ما قيل وتكشف عن الحالة العاطفية والانفعالية للشَّخص، وذلك لسهولة التَّحكُّم في التعبيرات اللفظية وصعوبته في غير اللفظية.

3. الإبدال (الإحلال)، بمعنى أن يحلَّ التعبير غير اللفظي محلَّ التعبير اللفظي، ويقوم مقامه، لأي سبب كان؛ كتعذُر الكلام في ظروف معيَّنة.

4. التكميل: أي إكمال التعبير غير اللفظي التعبير اللفظي أو تعديله؛ ليصبح موائمًا للسِّياق العام، ويحقِّق التأثير المطلوب.

5. التأكيد: تأكيد الحديث بالحركات والإشارات وتعبيرات الوجه والصوت؛ لإظهار الحماس للموضوع والتأييد والموافقة.

6. الرباط والتنظيم: بمعنى الحفاظ على التفاعل بين أطراف الحديث، واستمراره كما هو مطلوب، للوصول إلى الهدف المرجو.

ومنهم عالم النَّفس الاجتماعي أرغايل (Argyle, 1975) الذي اتفق مع مارك ناب في كثير من تلك الوظائف، ومنها[29]:

1. مساعدة المتكلم في التعبير عما يريد قوله لفظًا، مثل التَّأكيد على الكلمات المهمَّة بنبر لفظها، أو تنغيمه بطريقة معينة، أو حتى نطقه بطريقة بطيئة بالمقارنة مع طريقة نطق بقية الكلمات، والنبر والتَّنغيم من مصاحبات اللغة ومن الأشكال المساندة لأشكال التعبير الصوتية المستلهمة من المصدر الصوتي، ولهمادورٌ بارز في تطعيم التعبير بالمشاعر والعواطف والانفعالات المختلفة، وقد يكونان هما وسيلة التعبير الوجدانية والانفعالية في الكلام.

2. الاستغناء بها عن الكلام، مثل هز الكتفين للتعبير عن عدم المبالاة، أو هز الرأس للتعبير عن الرفض.

3. التعبير عن الاتجاهات النفسية والمواقف الشخصيَّة تجاه أمر ما أو تجاه الآخرين، مثل تعبيرات الملل التي تظهر على الوجه عند الشعور به لأيِّ سبب، ونبرة الصوت، وهيئة الجلوس والوقوف، والنَّظرات.

4. التعبير عن العواطف والانفعالات، مثل تعبيرات الوجه التي تكشف عن حالات الفرح والحزن والخوف والاشمئزاز والدهشة، ومثل الإشاحة بالوجه لدى رؤية شخص غير مرغوب فيه، أو الاحتضان لشخص عزيز أو التربيت على اليد للدَّعم.

وللغة الجسد ومصاحبات اللُّغة مصادر متعدِّدة تستقي منها أشكالها، ومنها تلك المصادر التي أوردها الحمداني عن عالم النفس ألبرت مهرابيان MehrabianAlbert، وهي [30]:التعبيرات الصوتية، التعبيرات اليدوية أثناء الكلام، التعبير بالوجه؛ ويشمل العيون والفم وكلَّ تعابير الوجه، الموقف البدني، الحركة.

ويذكر الحمداني أنَّ التعبير بالوجه يعدُّ الأكثر صلة بالانفعالات لدى الإنسان، ويستعرض الانفعالات الستَّة الأساسية لدى الإنسان كما شخَّصها عالم النَّفس بول إيكمان Paul Ekman وزملاؤه، وهي الدهشة، والخوف، والاشمئزاز، والغضب، والسعادة، والحزن، والتي أضاف إليها روبرت بلوتشيك (Robert Plutchik 1980) التوقُّع والتقبُّل [31]؛ ليقدِّم نظرية عن المزيج الانفعالي، يَفْترِض فيها أنَّ هناك ثماني استجابات انفعالية أساسية، وهي التوقع والغضب والفرح والتقبُّل والدَّهشة والخوف والأسف والتقزُّز، وهي استجابات جسمية نمطيَّة يمكن- كما يقول موراي- أن يوجد لها أصول أولية في الحيوانات الأدنى، لكنها تعرضت للتغيير بسبب التطوُّر، إضافة إلى أنَّها قد تتطلب شيئًا من النُّضج لدى الفرد، ويذكر أنَّ الخبرة الانفعالية المركبة عند الراشدين تتحقق بالامتزاج بين هذه الاستجابات الانفعالية الأساسية [32]؛ فينجم -بناء على تصنيف بلوتشيك- عن تفاعل كلِّ انفعالين متجاورين انفعالٌ آخر مركب، لتصبح الانفعالات النَّاجمة عن مجمل التفاعل ثمانية، وهي: الحبُّ والتفاؤل والعدوان والاحتقار والنَّدم وخيبة الأمل والخشية والخضوع [33]، ويفترض بلوتشيك-كما ذكر إدوارد موراي- أنَّ كلَّ استجابة انفعالية أوليَّة قد تختلف من حيث الشدَّة، فتنتج عنها درجات مختلفة من الخبرة الانفعالية، فدراسة الألفاظ التي تستخدم لوصف الخبرة الانفعالية تبيّن أنَّ استجابة الخوف مثلًا قد تتفاوت في الشدَّة، من الإشفاق مرورًا بالخشية والخوف والفزع حتى تنتهي إلى الرُّعب، كما وأنَّ امتزاج الانفعالات المختلفة بمستوياتها المختلفة من الشدَّة، يمكن أن يوضِّح كيف يصل الإنسان إلى كلِّ هذه الخبرة الانفعالية المتنوعة، ويمثِّل بامتزاج الفرح الشديد بالخوف البسيط وكيف يمكن أن يُفسِّر السعادة التي يشوبها التأثُّم عند الانغماس في عمليات متتابعة في الشراء [34]، ويذكر إدوارد موراي أنَّه كثيرًا ما يتمُّ التعرُّف على الحالة الانفعالية للإنسان بحركاته وأوضاعه، وأنَّ أهم التعبيرات العضلية الظاهرة عن الانفعال تحدث في الوجه، الذي يبين مشاعر النَّاس وانفعالاتهم ولاسيَّما الأنماط الرئيسة منها، أكثر ممَّا يبينه سلوكهم الإجمالي العام، ويرى أنَّه على الرّغم من أنَّ تعبيرات الوجه مرتبطة ارتباطًا فطريًا بالانفعال؛إلا أنَّ التعلُّم الاجتماعي له بعض التأثير على طريقة التعبير بالوجه عن الانفعالات[35].

وكذلك يؤكِّد الحمداني دور الوجه وتعبيراته في التعبير عن الانفعالات، مستدلًا بما أثبتته الدراسات من أنَّ الآخرين من مختلف الثقافات يستطيعون تشخيص تلك الانفعالات، والأساسية منها خاصة من خلال تعابير الوجه، إضافة إلى أنَّ عددًا من تعبيرات الوجه مشتركة لدى أشخاص ينتمون إلى ثقافات مختلفة، مثل: رفع الإنسان حاجبه عند الالتقاء بشخص يعرفه، وتقطيب الجبين عند الحيرة، والعبوس وشدّ الفكين عند الغضب، فهي من تعبيرات الوجه التي يعبِّر الإنسان من خلالها عن انفعاله، ويقرؤها الآخرون غالبًا بدون النطق بكلمة واحدة[36]، ويؤكِّد عودة عبد الله اعتقاد كثير من الباحثين أن

الوجه يؤدي دورًا مشتركًا بالنسبة للعاطفة لدى كل أفراد الجنس البشري، ويدلِّل بقول عالم النَّفس بول إيكمان Paul Ekman: "إن ما هو عام أو مشترك بين أفراد الجنس البشري من تعبيرات الوجه، هي الأوضاع المعينة التي تتخذها عضلات الوجه عندما يعبّر الشخص عن انفعالٍ معين" [37].

ويذكر محمد الأمين أحمد أنَّ الدراسات الحديثة قد بيَّنت أنَّ التعبيرات الوجهية عن العواطف الرئيسة ذات طبيعة فطريَّة؛ تولد مع الإنسان ولا تختلف باختلاف الثقافات والإثنيات، مستدلًا بعدد من التعبيرات الوجهيَّة التي وردت في القرآن الكريم؛ كالضحك والبكاء والفرح والاشمئزاز والغضب والاندهاش وغيرها، والتي صدرت عمَّن صدرت عنهم تعبيرًا عن انفعالات وعواطف معيَّنة يشترك فيها النَّاس جميعًا، ويفهمها الجميع بغضِّ النَّظر عن الحقبة الزمنيَّة التي ينتمون إليها [38].

والعواطف والانفعالات تظهر في الوجه مهما حاول الإنسان إخفاءها؛ بدليل ما جاء في القرآن الكريم في وصف وجوه الكفَّار والمنافقين التي فضحت انفعالاتهم وعواطفهم البغيضة وكشفت عن كرههم دون أن يتكلموا، في قول الله تعالى: **(وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[39]**، وقد جاء في تفسير الطبري الآية أنَّ وجوه الكافرين إذا تليت عليهم آيات القرآن الكريم تتغير، وتبين كرههم سماعه وإنكارهم إياه، حتى أنَّهم يكادون من شدة ذلك الكره أن يبطشوا بمن يتلون الآيات من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-[40]، ويفسِّر الزمخشري المُنكر الذي يظهر في وجوه الكفَّار بأنَّه الفظيع من التجهم والبسور، أو الإنكار[41]،ويمثِّل عمر عتيق لذلك بحيرة وتردد وتوتر الوليد بن المغيرة عندما سمع القرآن الكريم، والتي صورها القرآن الكريم في قول الله تعالى: **(فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25))**[42]، حيث صوَّرت الآيات حيرته في القرآن الكريم بعد إدراكه أنَّه ليس شعرًا ولا كلام كاهن، وصوَّرت ما دار في نفسه من حيرة وتردد وتوتر، ولاسيَّما وأنَّ قومه ينتظرون ما سيقوله عن القرآن، فتدرَّجت لغة الجسد عنده[43] من النَّظر الحادِّ الثَّاقب المتفرِّس لما يدور في أذهان المجتمعين والمتفكِّر في ماذا سيقول للمجتمعين من كفَّار قريش، والمهيئ لهم لما سيقوله،- إلى تقطيب الجبين **(عَبَسَ)**، أي: قَطَّبَ ما بين عينيه، والعابسُ: الكريهُ الملْقى الجَهْمُ المحَيَّا، والتَّعَبُّسُ: التَّجَهُّم[44]، وذكر ابن فارس أنَّ العين والباء والسين أصلٌ صحيح يدلُّ على تكرُّه في شيء، وعبس الرجل وهو عابس الوجه أي غضبان[45]،- إلى المبالغة والزيادة في تقطيب جبينه **(وَبَسَرَ)**، التي تعني أنَّه نظر بكراهة شديدة،وبَسَرَ الرجلُ وَجْهَه بُسُوراً أي كَلَحَ[46]، ويذكر عمر عتيق أنَّ هذا التَّدرج في التعبير الجسدي من النَّظر إلى تقطيب الجبين إلى المبالغة في تقطيب الجبين، والمنسجم مع آلية الإقناع التي يستعين بها المتكلِّم، والاستجابة التي يبديها السامع،- مرتبط بعلاقة الدماغ بعضلات الوجه، ويستدلُّ بما ذكره جرجي زيدان عن علاقة القوى العاقلة بعضلات الوجه، وهو أنَّ لكلِّ مجموع من مجاميع القوى علاقة خاصة بعضلة من عضلات الوجه تتأثَّر بتأثرها فتنقبض العضلة أو تنبسط حسب أحوال تلك القوى من الشِّدَّة أو الانفعال أو نحو ذلك [47]، وقد نال العبوس في التعبير الجسدي اهتمام عدد من اللغويين، ومنهم الثعالبي [48]، حيث أفرد فصلًا في العبوس، فذكر منه أنَّ الرجل إذا زوَى ما بين عينيه فهو عابس، فإذا زاد مع العبوس التكشير عن أنيابه فهو كالح، فإذا زاد عبوسُه فهو باسرٌ ومكفَهرٌّ [49].

و أمَّا التعبير بالعيون فيُعدُّ أحد أبلغ أشكال التعبير غير اللفظي؛ لأنَّ الإنسان يستطيع أن يعبِّر عن مشاعره؛ كحبِّه وكرهه أو رفضه أو قبوله بمجرَّد النَّظر، وبه أيضًا يمكن تنظيم تبادل الحديث بين الناس، والتَّأكد من فهم الآخرين لما قيل، وإخبار المتكلم أنَّ السامع منصتٌ لكلامه، ويذكر الحمداني أنَّ للنَّظر

أصولًا وقواعد في الثقافات المختلفة، ومنها في الثَّقافة العربية -على سبيل المثال- تجنُّب النظر في وجوه الإناث، ولاسيما إن كنَّ من ذوي القرابات البعيدة أو الجيران أو زوجات الأصدقاء والأقارب،وكذلك قديُفسَّر تجنُّب النظر إلى عيون الآخرينبأنَّه تعبير عن عدم الرغبة في التفاعل معهم، أو بسبب الخوف من الغرباء أوالخضوع لذوي السلطة [50].

أمَّا عمر عتيق فيرى أنَّ العين مرآة القلب والوجدان؛ لأنَّها كثيرًا ما تكشف من المشاعر والانفعالات والعواطف مالا تكشفه الكلمات، ويستدلُّ بما ذكره ابن حزم عن الثراء الدلالي للعين[51]، وكيف تؤدي كلُّ إشارة من إشاراتها معنىً معينًا دون الحاجة إلى الكلمات، وقد أورد جملة متنوعة من أمثلة لغة الجسد التي وردت في القرآن الكريم [52]، ومن الآيات التي تتجلى فيها تعبيرات العيون أو لغة العيون، قول الله تعالى: **(وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ)** [53]، وهذه الآية تصوِّر موقف المنافقين حين ينزل القرآن، وفي تفسيرها يقول الرازي إنَّ المنافقين كلَّما نزلت سورة مشتملة على ذكرهم وشرح فضائحهم وسمعوها، تأذَّوا من سماعها، ونظر بعضهم إلى بعض نظرًا مخصوصًا دالًّا على الطعن في تلك السورة وتحقير شأنها؛ بل قد يكون دالًّا على موقفهم من القرآن كله، ثم قال بعضهم لبعض: هل يراكم من أحد؟ وهو إمَّا مخافة أن يرى أحد من المسلمين ما دلت عليه نظراتهم من الإنكار والنفاق والكفر، وإمّا لتأذِّيهم من السورة التي تذكر مخازيهم، فيريدون الخروج من المسجد بحذر حتى لا يراهم المسلمون ويفتضح نفاقهم وكفرهم [54]، ويفسِّر الزمخشري نظرهم إلى بعضهم بأنَّه تغامز بالعيون إنكارًا للوحي، وسخرية به، متسائلين: هل يراكم من أحد من المسلمين، لأجل أن ينصرفوا إن لم يرهم أحد، لأنَّهم لا يصبرون على استماعه ويغلبهم الضحك، فيخافون الافتضاح بينهم، أو أنَّهم يترامقون بنظراتهم يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال من المجلس [55]، ويذهب عمر عتيق إلى أنَّ تبادل النظرات بين المنافقين يكشف عن حزمة من المشاعر التي تدور في أعماقهم وتظهر في نظراتهم، فيرى أنّ َنظراتهم لابد أن تقترن بحركة الجفنين، فينجم الغمز الذي يدل على السخرية والاستهزاء كما ذكر الزمخشري، أو يطرأ عليها الجحوظ تعبيرًا عن غيظهم وغضبهم لأنَّ السورة تفضحهم، أو أن يطرأ اتساع وضيق في حدقة العين، في حركات للعين تعبِّر عن مشاعر وأفكار معينة، أو قد تكون تلك النظرات إشارة اتفاق على الهروب والانصراف فرارًا من سماع القرآن، وهكذا تنبئ نظرات العيون عن دلالات مختلفة ومحدَّدة بالحركة التعبيرية للعين، فقد تكون كما سبق، وقد تنبئ عن الخوف أو الجبن أو الترقُّب أو غير ذلك [56].

وفي قوله تعالى: **(فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ)**[57]، يحلِّل عمر عتيق لغة الجسد في الآية، فيقول إنَّ فيها ثلاثة أشكال تعبيريَّة، وهي[58]: التعبير الصوتي الانفعالي الذي صدر من سارة زوج النبي إبراهيم عليه السلام، معبِّرًا عن الدهشة والتعجُّب من البشرى بالإنجاب، وهي لسببين، ذكرهما الرازي في تفسيره، وهما: أنَّها عجوز في سنٍّ لا تنجب فيها المرأة، وعقيم لم تنجب في صباها وصغر سنِّها [59]، وهذا في قوله تعالى: **(فِي صَرَّةٍ)**، والصرَّة كما ذكر الطَّبري الصيحة؛ أي أقبلت في صيحة، وأورد أقوالًا أخرى، ومنها: أقبلت في رنَّة، أقبلت ترنُّ، أو أنَّ تلك الصيحة (أوه) مقصورة الألف [60]، وكذلك ذكر الزمخشري، وذكر أيضًا أنَّها من صرِّ الجندب، وصرِّ القلم، والباب، وكذلك أورد أقوالًا فيها، ومنها: أنَّ الصرَّة قولُها: أوه، أو قولها: يا ويلتا، أو هي كما أورد عن عكرمة: رنتها[61]، وذكر الرازي احتمال قول إنَّ الصيحة كانت بقولها يا ويلتا، بدلالة الآية التي في سورة هود والتي صرَّحت فيها بقولها [62]، وهذا التعبير الانفعالي الصوتي، ثم التعبير الانفعالي الحركي باليدين في قوله تعالى: **(فَصَكَّتْ وَجْهَهَا)**، ويفسِّرُه الزمخشري بأنَّها لطمت وجهها، أو لطمت ببسط يديها، أو ضربت بأطراف أصابعها

جبهتها من التعجُّب [63]، ومثل ذلك قال الطبري، وذكر أنَّ الصَّكَّ عند العرب هو الضَّرب، وأورد من الأقوال أيضًا أنَّها جمعت أصابعها وضربت بها جبهتها [64]، وأورد الرازي أنَّ الصيحة ممَّا جرت به عادة النساء حين يسمعن شيئًا من أحوالهن؛ فيصحن استحياءً أو تعجبًا، ومثله صك الوجه [65]، تلا ذلك التعبير الكلامي في قوله تعالى: (**وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**)، والذي يرى عمر عتيق أنَّه ليس انفعاليًا في دلالته أو في تنغيمه، وإنَّما هو كلام إخباري في ظاهره لا يحمل في طياته شحنات نفسية تتناغم مع الدهشة والتعجُّب، مستنتجًا من ذلك أنَّ التعبيرين الصوتي والحركي امتصَّا الانفعال والتوتر [66]، ويتفق البحث معه في أنَّ كلًّا من التعبيرين الصوتي والحركي قد هيئا للتعبير الكلامي، ولكنَّه يختلف معه في أنَّ هذا القول وإن بدا إخباريًا في شكله، إلا أنَّه انفعاليٌ في مضمونه، فالمعنى الذي يحتمله بناء على سياق الآية الذي جاء في معرض وصف السيدة سارة لمَّا تلقت الخبر الذي لا يتناسب-في عرفها وعرف النَّاس جميعًا- مع واقعها الذي هو أنَّها امرأة عقيم لاتلد إضافة إلى كبر سنِّها؛ ولذا أخذتها الدهشة كلَّ مأخذ، فكان هناك شيء خاص بها، وهو الصوت الذي أصدرته من الدهشة والتعجُّب، وحركة لطم وجهها من شدَّة التعجُّب والدهشة أو الحياء-كما سبق وأن ذكر الزمخشري في بعض ما أورد من الأقوال-، ثم هي تحتاج لاستيضاح الخبر ممَّن بشَّرها به، وللتنفيس عن الانفعال الشديد الذي انتابها لمَّا سمعت البشرى، ولكن المفاجأة لم تسمح لها بالتفكير في صوغ الكلام كاملًا، وفي سرعة وعجلة ودهشة وتعجُّب قالت: **(عَجُوزٌ عَقِيمٌ)**، وكأنَّها تريد أن تقول وتسأل: كيف ألدُ وأنا عجوزٌ عقيم؟، فالسؤال مُبطَّن في الكلام، ويغني عنه التنغيم المصاحب للكلام الذي يُلقى في لحظة التعجُّب والدهشة، وقدَّر الطبري المحذوف بأنَّه " أتلد" أي: أتلد عجوز عقيم؟، وذكر أنَّه حذف لدلالة الكلام عليه، وبضمير أتلد رُفِعت **(عَجُوزٌ عَقِيمٌ)** [67]، فالمشاعر والانفعالات التي أثارتها البشرى في نفسها أنتجت هاتين الكلمتين المعبِّرتين عنهما، ولذا يمكن القول هنا إن جملة **(عَجُوزٌ عَقِيمٌ)**التي وقع فيها الحذف والإيجاز والتنغيم هي شكل من أشكال التعبير الوجداني الانفعالي، الذي تعدَّدت مصادره وتضافرت في إنتاجه، ولعلَّ ممَّا يؤيد ما ذهب إليه هذا البحث في تحليل جملة " عجوز عقيم"، والحكم عليها بأنَّها من أشكال التعبير الانفعالي، ورود القصة في قوله تعالى: **(قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)**[68]، وفي هذه الآية يردما قالته السيدة سارة لمَّا بشرت بإسحاق تعجبًا وهو كلمة **(يَا وَيْلَتَىٰ)**، وهي كلمة -كما أورد الطبري[69]- تقولها العرب عند التعجُّب من الشيء، واستنكار الشيء، ثمَّ صرَّحت بالسؤال الذي غرضه التعجبفي قوله تعالى:**(أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا)**، ثم وفي جملة إخبارية تقريرية تأكيدية لشدَّة تعجبها من تلك البشرى عقَّبت بقولها: **(إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)**، وهذه الجملة الإخبارية بما تحمله من معنى وهو الإقرار بأنَّ إنجابها وهي وزوجها في السِّن الذي لا يمكن أن يكون فيه الإنجاب، أمرٌ عجيب- هي جملة تحفل بالمشاعر والانفعالات، ويؤيِّد السياق ذلك تمامًا، فهي لازالت في موقف الصدمة وهذا تعليقها على الأمر، فهي ترجمة نهائية لتعجُّبها من هذا الأمر الذي يخالف المعروف، ولم تقل هذه الجملة لتبلغ شيئًا، وإنَّما لتعبِّر عن ذلك التعجُّب، ولعلَّ الآية التي تلتها توضِّح هذا الأمر؛ حيث قال تعالى على لسان الملائكة: **(قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ)**[70]، ويفسِّر الطبري الآية بأنَّ الرسل ردَّت على قول السيدة سارة بأنَّ كون الولد من مثلها ومثل بعلها في السن التي هما فيها شيئًا عجيبًا، بالسؤال التعجبي عن عجبها من أمْرٍ أمَرَ الله به أن يكون، وقضاء قضاه الله فيها وفي بعلها[71]، وذكر الزَّمخشري أنَّ الملائكة أنكرت عليها تعجُّبَها من ولادة ولد من هَرِمين، على الرغم من أنَّه على خلاف العادة التي أجراها الله؛ لأنَّها كانت في بيت الآيات، ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات، فكان عليها أن تتوقر، ولا يزدهيها ما يزدهي النساء الناشئات في غير بيوت النُّبوّة، وأن تسبِّح الله وتمجِّده مكان التعجب، وهو ما أشارت إليه

الملائكة في قوله تعالى على لسان الملائكة: **(رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ)**، أي أنَّ هذا الأمر من قدرة الله وحكمته، وأمثاله ممَّا يكرمكم به الله سبحانه وتعالى، ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة، فليس بمكان عجب[72]، وعلى كلٍّ فيمكن توقُّع مصاحبة التعبير القولي لعدد من تعبيرات الوجه الدالة على التعجب والفرح وغيرها من الانفعالات التي أثارها الخبر الذي بشَّرتها به الملائكة؛ كرفع الحاجبين واتساع حدقتي العين وغيرها من الحركات، والله أعلم.

أما حركات الأيدي أثناء الكلام فقد قسمها بعض العلماء إلى العلامات، وإشارات التوضيح، والمهندمات، فأمَّا العلامات، فهي حركات تحلُّ محلَّ الكلام، مثل هزِّ الكتفين تعبيرًا عن الجهل أو عدم الاكتراث، وهزِّ الرَّأس من الأعلى إلى الأسفل تعبيرًا عن الموافقة، وأمَّا الإشارات التوضيحية فهي إشارات مساندة للقول، حين يحتاج إلى توضيح أمور يصعُب قولُها، مثل وصف حجم الأشياء أو طولِها أو شكلِها، ويرى الحمداني أنَّ الإشارات التوضيحية تكثر لدى الأشخاص في حالات الانفعال الشديدة، أمَّا المهندمات فهي حركات يقتضي الذوق العام غالبًا تجنب الإتيان بها، كملامسة الشفتين والأذنين والأنف واليدين، وتعديل الشعر أو لفِّه والعبث به، وعضِّ الشفتين، وغيرها، وكثيرُ منها يأتي به الإنسان من غير إدراك وبلا هدف، إلا أنَّ بعضَها يرتبط بحالاتٍ انفعالية ونفسية كالشعور بالحرج أو الخجل أو الخوف أو القهر...أو غيرها، وهذا النوع في الغالب لا يستخدم في التواصل الإرادي، وإنَّما هو ممَّا يمكن أن يكشف عن حالة الأشخاص الوجدانية والانفعالية وما إلى ذلك [73]، وقد يترتَّب عليه لغة وجدانية انفعالية خاصة في مخاطبة أولئك الأشخاص والتأثير فيهم وإحداث الاستجابات المرغوبة منهم، وهنا يمكن أن يقال إنَّ لغة الجسد ومصاحبات اللغة باتت مصدرًا ملهمًا من مصادر اللغة الوجدانية.

ولإيكمان وفريزن تقسيمٌ آخر للإشارات غير اللفظية؛ فإضافة إلى ماسبق هناك المنظِّمات، وهي حركاتٌ أو إشاراتٌ غيرُ لُغوية تصدر عن العينين والحاجبين والفم والرأس عمومًا، تستعمل في تنظيم التَّفاعل اللُّغوي مع الآخرين، والتَّأكد أنَّ السَّامع تسلَّم الرِّسالة وفهمَها، أو إخبار السامع أنَّ دوره في الكلام قد حان، ونحو ذلك [74].

ويورد عتيق من خلال دراسته للغة الجسد في القرآن الكريم عددًا من حركات الأيدي والكفين الناجمة عن الانفعال، والتي تكون استجابة له، وتعبيرًا وتنفيسًا عنه، وسادة مسدَّ التعبير القولي أحيانًا، ومساندة له أحيانًا، ومنها: العضُّ على الأنامل غيظًا، أو ندمًا وحسرة، أو عضُّ جانبِ الإصبع أو جانبِ راحة اليد، أو ردُّ الأيدي إلى الأفواه لدلالاتٍ محتملة متنوعة ينبئ بها السياق، أو تقليب الكفين حسرة وندمًا، والإشارة باليد والإصبع، ووضع الإصبع في الأذن خوفًا أو كراهية للمتكلِّم، أو كراهية الاستماع إلى كلام معيَّن مع العجز عن الإتيان بالأدلة والبراهين للرد على المتكلِّم [75].

ويُعدُّ الموقف البدني الذي يضمُّ الجسم بأجمعه حركة وتوجهًا وسيلة مهمة للتعبير قد تُكذِّب ما يقوله الإنسان بلسانه، كما أنَّ كثيرًا من الصفات لانفعالات الإنسان تكون بحركة جسمه، مثل: جاء يطير فرحًا، خرج يجرُّ قدميه جرًا؛ بل إنَّ الموقف البدني للإنسان قد يحدِّد ردة فعل الآخرين واستجاباتهم، فالموقف المتشنج المقاتل مع شخص آخر سيعكس لديه موقفًا بدنيًا مشابهًا، وسيؤثر ذلك على القرار أو الاستجابة بطبيعة الحال، وهذا ما يسمى بالصدى البدني [76].

وتعدُّ الاقترابات من الموقف البدني، فالمسافة البدنية بين الأشخاص تدلُّ كثيرًا على المسافة النفسية بينهم، وإن كانت الاختلافات الثقافية بين الشعوب تتدخل في تقدير حجم المسافة المسموح بها بين الأشخاص أثناء الحديث [77]، وحين تقترن تلك المسافة بين الأشخاص باللغة تزيد القول قولًا وتعطيه معنىً إضافيًا،ويؤدي اللمس كأحد أشكال تلك اللغةدورًا مهمًّا في التعبير عن العواطف والانفعالات والتأثير فيها واستثارتها، وحين

يصاحب اللغة المنطوقة فإنَّه يقول شيئًا إضافيًا ويضيف معنى خاصًا،ويمثِّل الحمداني لأهميَّته بالمسؤول الذي يضع يده على كتف الموظَّف أثناء حديثه، لينقل إليه شعورًا معينًا ويحمله على استجابة معيَّنة، كما يذكر أنَّ اللمس قد يكون دليلًا على السلطة والنفوذ والمقام الرفيع، ويستدلُّ على ذلك بأنَّ وضع المدير ذراعه على كتف الموظَّف لغة إيجابية تحمل في طيَّاتها الرضا والضَّم غالبًا، في حين أنَّ الأقل مقامًا لا يبادرون إلى لمس من هم أعلى منهم منزلة ومقامًا [78].

وقد كان لبيردوسل الريادة في الدراسات والأبحاث التحليلية في علم لغة الجسد، حيث تمكن من عزل الحركات الجسمية التي تقابل النَّبر في اللغة، والتي تصاحب الضمائر، وأسماء الإشارة، والتي تدل على زمن حدوث الفعل، واستلهمت فاطمة محجوب منها دراستها التي قسَّمت فيها الحركات والإشارات التي يأتي بها الإنسان المصري إلى ثلاثة أقسام، وهي: **حركات محدودة الدلالة** تحدث مصاحبة للكلام أو منفردة بدون كلام؛ كحركة ضمِّ أطراف أصابع اليد بحيث يصبح شكل اليد كالكمثرى، والتي قد تعني طلب الانتظار في سياق، والتهديد في سياق آخر، و**حركات التوكيد** ولا تحدث إلا مصاحبة للكلام، وتقابل النَّبر في علم الأصوات، كرفع الحاجبين مثلًا، وتحدث في الوقت نفسه مع المقطع الذي يقع عليه النَّبر الرئيسي في الكلمة، أو مع نطق الكلمة التي تفيد التوكيد أو المبالغة في الجملة ككلمة "جدًا" على سبيل المثال، و**حركات التوضيح**وتكون مصاحبة للكلام؛ كالحركات المصاحبة للاستفهام، والإشارة بالسبابة إلى المخاطب لتوجيه الاتهام إليه [79].

وكذلك استلهمت محجوب ما ذهب إليه بيردوسل من أنَّ للحركة الجسمية قواعد تتفق مع قواعد اللغة؛ فعزلت عددًا من قواعد الحركات والإشارات الجسمية المتفقة مع قواعد اللغة؛ كالوقف، والجمل التعجبية، والأفعال في أزمنتها الثلاثة، والضمائر بأنواعها، وأسماء الإشارة، وأدوات الاستفهام، وجعلت لكلٍّ حركات وإشارات مخصوصة تتَّفق معها، كما توصَّلت إلى أنَّ هناك حركات وإشارات تختص بالأطفال، وأخرى بالكبار، وحركات وإشارات تكثر عند النساء، وأخرى عند الرجال، وأنَّ الحركات الجسمية والإشارات تشترك مع اللُّغة في أنَّها تكشف عن البيئة والنشأة والتعليم والتربية والثقافة والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد مهما حاول إخفاءها من خلال اللُّغة [80]، وتأتي أهمية هذه المباحث من أهميتها في التعبير الإنساني بشكل عام والتعبير الوجداني والعاطفي والانفعالي بشكل خاص.

وأمَّا التعبيرات الصوتيَّة المصاحبة وتُسمَّى اللغة الموازية (Paralanguage)، فتشمل رفع الصوت أو خفضه وفقًا للموقف، والتكلُّم بسرعة أو ببطء، والتَّشديد على نطق بعض الأصوات، والتَّنغيم، والتوقفات القاعديَّة في نهاية الجمل، وغير القاعديَّة في أواسط الجمل، التي تُملأ عادة بأصوات، مثل: (ممم) و(أهمم)، إضافة إلى صيغ الصوت وتنغيمه التي يمكن أن يُسْتشف منها مزاج المتكلم وحالته النفسية والانفعالية، وقد ذكر الحمداني عن ديفتزوديفيتز(Davitz & Davitz,1959) أنَّ هناك ثماني صيغ للصَّوت يمكن أن تنبئ السامع بمزاج المتكلم في المودة، الغضب، الملل، المرح، نفاد الصبر، الفرح، الحزن، الرضا [81].

ولذلك يتمُّ توجيه الأشخاص ذوي المناصب الرفيعة إلى طريقة معينة في الكلام وتدريبهم عليها عند التحدث إلى الجمهور أو إلى وسائل الإعلام، بحيث يستخدمون اللغة واللغة المصاحبة المناسبة التي لا تخضع لحالاتهم الانفعالية، والتي تصوِّرُهم بالصورة التي يرغبون الظهور بها أمام جماهيرهم، وتدعم مواقفهم، وتحقِّق أهدافهم وما يسعون إليه من تأثير في تلك الجماهير من خلال خطاباتهم، ويذكر الشَّيخ الطَّنطاوي أنَّ الحكم على شخصية أحدهم بأنَّها نبيلة مهذَّبة يتأثر بهدوء صوته، واتِّزان لهجته، ووضوح حروفه، وأنَّ الشَّخص مرتفع الصوت، حاد اللهجة، المتشدِّق في كلامه الذي يمطُّ في حروفه تكون لشخصيته صفة أخرى[82].

ويقف يحيى علي أحمد على دور الصوت في التعبير كوسيلة يمكن من خلالها نقل العواطف والمشاعر والانفعالات من المتكلمين إلى السامعين، فنبرة الصوت تنقل مشاعر الغضب، والحزن، والتأثر إلى السامعين، وارتفاع نبرة الصوت يترافق غالبًا مع شدة العاطفة والانفعال، ويذكر أنَّ التعبير عن العواطف يتصف عمومًا بمظهرين: جسدي فسيولوجي يتمثَّل في زيادة ضربات القلب، وارتفاع الضغط، وتغيُّر لون الوجه، والتعرُّق، والرجفة وزيادة حركات اليدين والحركات الجسمية الأخرى،وآخر لُغوي ويكون على شكل كلام بصوتٍ عالٍ مدوٍّ، أو على شكل كلام خافت الدرجة، أو على شكل وقفات أو فجوات في الكلام، أو جمل مبتورة، أو غير صحيحة نحويًا، أو تكرار، أو تلعثم، أو إقحام بعض الأصوات، أو حذف بعضها، أو زلات لسانية، أو حذف بعض الكلمات، حسب شدة التأثر والانفعال، وتيقُّظ العاطفة لدى الشخص، وبكلا المظهرين تصبح حالة الشخص الشعورية واضحة، وتأتي نبرات صوته لتكون الدليل الأوضح عليها، فيظهر من صوته فرحه أو حزنه أو غضبه، وقد استدلَّ بعددٍ من الدِّراسات السابقة في هذا المجال التي تؤكِّد أنَّ الأداء الصوتي يتأثر بالحالات العاطفية، وبملابسات الأحداث اللغوية والسِّياق الذي تقع فيه تلك الأحداث، وأنَّ كلَّ حالة عاطفية تتجلى من خلال مظاهر صوتية ملحوظة [83]؛ ومنها دراسة أجراها جون ستارك وذر Starkweather في سنة 1961م، عن العلاقة بين الصوت ودلالته على الجوانب العاطفية، والتي كان من نتائجها أنَّ الدراسات تشير إلى أنَّ الصوت وحده يمكنه أن يحمل معلومات عن المتكلِّم في كلام خالٍ من المحتوى، بالاعتماد على درجة الصوت ومعدَّله وحجمِه، والخصائص الفيزيائية للصَّوت، إضافة إلى ما ذكره ديفيتز عن أنَّ كلَّ الدراسات التي أجريت إلى وقتهم، تتَّفقُ في أنَّه يمكن نقل المعاني العاطفية بشكل دقيق من خلال التعبير الصوتي[84].

ويؤكِّد الشيخ علي الطنطاوي في مقال بعنوان "فن الكلام" أنَّ المعنى قد يكون واحدًا، ولكن طريقة إلقائه، واللهجة التي يُلقى بها، وملامح الوجه وقت إلقائه، ونبرة الصوت، قد تغيِّره بل وتقلبُه قلبًا، ويتغيَّر بناء على ذلك أثرُه على السامعين ونوعية استجاباتهم؛كاختلاف معنى وأثر التحيَّة: صباح الخير باختلاف نبرة الصوت وملامح الوجه وقرائن القول وظروف الحال التي تلقى فيها، فإن أُلقيت بنبرة خالية من الحرارة، ووجه خال من التعبير، فهي تعني عدم مبالاة الشخص بمن أمامه واستواء حضوره وغيابه، وإنْ أُلقيت بابتسامة مصطنعة مراعية مع إحناءة بسيطة للرأس، فهي تعني العطف على الشخص مع رؤيته بأنَّه دون المُلقِي، وإن أُلقيت بابتسامة صادقة وملامح متوددة ولهجة طبيعية، فهي تعني الصداقة المخلصة للشَّخص الذي أُلقيت عليه، وهكذا يختلف تفسير العبارة الواحدة باختلاف لغة الجسد التي تصاحبها، والأمثلة كثيرة على ذلك [85].

ولعلَّ هذا البحث لا يجانب الحقيقة إذا رأى تقسيم اللغة غير اللفظية ومصاحبات اللغة إلى قسمين، الأول يختص بمسانِدات اللغة المنطوقة أو بدائلها وهو ما كان موضوع الصفحات السابقة، والثاني يختص باللغة المكتوبة، وهوعلامات الترقيم والتوقفات والسطور الخالية كما في قصيدة الومضة [86]، والإشارات والعلامات والوجوه التعبيرية التي تصاحب الكلام المكتوب في وسائل التواصل الاجتماعي؛ فتأتي موضِّحة أحيانًا، مؤكِّدة مدعِّمة أحيانًا، وقد يُستغنى بها عن اللغة المكتوبة أحيانًا أخرى، وهذه تحتاج إلى وقفات ودراسات جادة نظرية وتطبيقية كأحد أشكال التعبيرات الوجدانية والانفعالية.

وقد حوى حديثُ رسولِ الله- صلَّى الله عليه وسلَّم- أشكالًا من تلك اللغة غير اللفظية؛ لغة الجسد ومصاحبات اللغة؛ كإشارات الأيدي وحركاتها، وتعبيرات الوجه والعينين، وحركات الجسد، والتعبير الصوتي أو اللغة الموازية، كما واستخدم صلى الله عليه وسلم الرسم البياني التوضيحي، ورافقت تلك اللغة

والمصاحبات اللغة اللفظية حينًا، واكتفى بها- صلى الله عليه وسلَّم- في بعض الحالات، وقد اشتركت تلك اللغة في الحديث الشريف في الإبلاغ الذي هو الهدف الأساسي في الحديث النبوي الشريف من خلال التعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات، ومخاطبتها والتأثير فيها، حيثُ تعدَّدت الأغراض التي أدَّتها؛ فجاءت للتوضيح، والتأكيد، والتعظيم، والإيجاز، والموافقة والإقرار،والنهي، والإعراض سواءً أكان في حال الإنكار أم في حال القبول مع عدم المشاركة، وكذلك لإظهار الحب والتدليل، أو الكراهية، أو التعبير عن السرور، والاستحسان والرضا والقبول، أو التعجب، والتصديق، والغضب تحريمًا أو كراهة أو إنكارًاوغير ذلك من الأغراض[87] المقصودة في معرض البلاغ النبوي.

رابعًا: نماذج من اللغة الوجدانية غير اللفظية في الحديث النَّبوي الشريف:

يستعرض البحث فيما يأتي بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي يظهر فيها أثر اللغة الوجدانية غير اللفظية ومصاحبات اللغة التي استعملها صلى الله عليه وسلَّم في الإبلاغ، وكيف لعبت بمفردها أو بمصاحبة اللغة المنطوقة دورًا مهمًا فيه:

الحديث الأول:

" حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال: حدثني عبد العزيز بن أبي حازم قال: حدثني أبي، قال: سمعت سهل ابن سعد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا". وقال بإصبعيه السبابة والوسطى." [88].

بيَّن الرَّسول في هذا الحديث الشريف منزلة كافل اليتيم، أي: القيِّم بأمره ومصالحه، وهي الجنَّة، وأن يكون قريبًا من الرسول ليس بينهما أحد، كقرب الأصبعين السبَّابة والوسطى وعدم وجود أصبع بينهما [89].

وهذا الحديث لم يتجاوز نصف سطر، والنصف الآخر كان وصف الراوي لحركة الرَّسول، وقد جاء في أسلوب خبري خالٍ من المؤكِّدات في إيجاز بليغ لا يتأتى لغيره ، فلم يشتمل على أمر بكفالة اليتيم، وإنَّما هو ترغيب وتشجيع على كفالة اليتيم والقيام بمصالحه ورعايته دينيًا ودنيويًا، من أيِّ شخصٍ كان؛ سواءً أكان قريبًا أم بعيدًا [90]،وقدتحقَّق ذلك من خلال لغة الجسد وحركة الأصبعين الشريفين التي ساندت اللغة المنطوقة؛ حيث ظهر من خلالها منزلة كافل اليتيم في الجنة من الرَّسول، وهي القرب الشديد من الرَّسول، والذي عبَّر عنه بتلازم الأصبعين السبابة والوسطى وتصاحبهما وقربهما الشديد، ولم يصف القرب قولًا إلا بقوله "هكذا" تمهيدًا للفت انتباههم، وتجميع أبصارهم إلى موضع الإشارة وكيفيتها، وهو أصبعا السبابة والوسطى، ويستشهد مهدي عرار على أهمية الإشارة في التواصل ونقل المعنى وتقريره بنتائج بعض الأبحاث في مجال الإشارة ولغة الجسد؛ ومنها: أنَّ تأثير الرِّسالة الكلي يعود إلى 7٪ من اللغة المنطوقة، و38٪ مما يرافقها من التنغيم والنغمة ودرجة الصوت، و55٪ من لغة الجسد، ومنها مازاد من أهمية اللغة غير اللفظية؛ فأعطاها نسبة 65٪ في تأدية المعنى، وأعطى الباقي للغة المنطوقة[91].

واللغة غير اللفظية التي استعملها الرسول صلى الله عليه وسلَّم في التوجيه الخاص بالتعامل مع اليتيم، والإبلاغ بشأن كفالته، خير دليل على أهميتها سواءً أكانت مصاحبة للغة اللفظية أم مستقلةً عنها، فكما هو واضح في الحديث السابق أنَّ الرسول- صلى الله عليه وسلَّم- أراد أن يبيِّن مكانة اليتيم في الإسلام، وأهمية رحمته والعطف عليه وحسن معاملته، وعظم أجر كافله، فاستعمل- صلى الله عليه وسلَّم- الإشارة بأصبعيه السبابة والوسطى، دلالة على منزلة كافل اليتيم في الجنَّة من رسول الله –صلى الله عليه وسلَّم؛ فهما في القرب كقرب السبَّابة من الوسطى، وهذا قمَّةُ التشجيع والإغراء لكلِّ مسلم يحبُّ رسول الله

–صلى الله عليه وسلَّم- ويرجو أن يكون بقربه يوم القيامة في الجنَّة، فأغنت الإشارة بالسبابة والوسطى عن وصف المنزلة ووصف القرب، بل وكانت أبلغ في الإغناء والإقناع والتأثير؛ لأنَّ المسألة عاطفية والرسول يريد أن يستثير عواطف المسلمين تجاه اليتامى، وفي الوقت نفسه يريد أن يخاطب عقولهم من خلال عواطفهم، فلم يأمر مباشرة بكفالة اليتيم ثم يبيِّن عظم المنزلة، وإنَّما مباشرة وبشكل تصويري تمثيلي من خلال الإشارة بأصبعيه ذكر مكافأة كافل اليتيم، والمسلم هدفه الجنَّة بل ويرجو أعلى مكانة فيها، والرسول- صلى الله عليه وسلَّم- في أعلى درجات الجنَّة، فصوت العقل الذي كان القلب طريقًا إليه يأمر المسلم أن يفعل الشيء الذي يوصله إلى ذلك، ويجعله في الوقت نفسه بجانب الرسول فيها، ألا وهو كفالة اليتيم، وهنا يتحول الأمر إلى تحبيب وترغيب، ويتحول حبُّ الجنة وحبُّ الرسول إلى الدافع الذي يستثير عاطفة المسلم تجاه اليتامى، حبًا وحنانًا ورحمة وعطفًا ورعايةً.

فالرَّسول ترك التعبير بالكلام إلى التعبير بالحركة، فلم يقل : (متقاربان، معًا، متصاحبان، متلازمان)، وغيرها من العبارات التي تؤدي معنى الحركة قولًا؛ لأنَّ الإشارة وحركة الأصبعين- سواءً أفرَّج الرَّسول بينهما أم ألصقهما (حيث وردت أقوال في ذلك) [92]- أبلغ في هذا المقام وأكثر لفتًا للانتباه، وتجميعًا للاهتمام، وتقريرًا للمعنى، وترغيبًا وحثًا وتشجيعًا، فمن خلالها عرف الكافل أنَّه سيكون يوم القيامة في الجنَّة، استلزامًا، لأنَّ كونه بهذا القرب من الرَّسول يعني أنّه سيكون في الجنَّة، وهذه البشرى الأولى، وأمَّا الثانية فإنَّه سيكون قريبًا جدًا من الرسول في الجنَّة إلى درجة أن يكون بجانبه وليس بينهما فاصل، وستظلُّ تلك البشرى حاضرة في ذهنه كلَّما نظر إلى أصبعيه السبابة والوسطى، وحافزة له كلَّما نزغه من الشيطان نزغ، أو أصابه شيء من الفتور أو ما شابهه مما يعرض للإنسان، وسيظلّ المعنى الذي تنقله هذه الحركة من أقوى الدوافع التي تدفع المسلم إلى كفالة اليتيم، ولاسيَّما حين يكون بعيدًا، ولا تربطه صلة قرابة باليتيم.

وقد سمَّى مهدي عرار تلك الحركة بحركة التلازم والمصاحبة، وذكر أنَّ الرِّسالة في دلالتها الكلية لا تقوم على ظاهر اللفظ-كما سبقت الإشارة-، وأنَّ النَّص عندما يتقادم به العهد، يفقد قليلًا أو كثيرًا من دلالاته، إلا أنَّ ذلك لم يحدث في الحديث الشريف لأنَّ الحركة الجسمية التي رآها الحضور ورواها الرُّواة أفضت إلى تعيين المعنى المراد تعيينًا محكمًا دقيقًا، وهو معنى الصُّحبة والتَّلازم [93].

الحديث الثاني:

"حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي جَدِّي أَبُو بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا "، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ" [94].

ذكر ابن حجر في شرح الحديث أنَّ اللام في "المؤمن" للجنس، والمقصود بعض المؤمنين للبعض، وقوله" يشد بعضه بعضًا" بيان لوجه التشبيه، وأورد عن ابن بطال: أنَّ المقصود تعاون المؤمنين في أمور الآخرة وفي الأمور المباحة من الدنيا، وذكر أنَّ قوله: " ثم شبك بين أصابعه " بيان لوجه التشبيه أيضًا، بمعنى يشدُّ بعضهم بعضًا مثل هذا الشد، أو-كما ذكر الكرماني- كالبيان لوجه التشبيه؛ أي شدًا مثل هذا الشَّد، وذكر ابن حجر أنَّ ممَّا يستفاد من هذه الحركة النبويَّة أنَّ الذي يريد المبالغة في بيان أقواله يمثلها بحركاته ليكون أوقع في نفس السامع [95].

ويقول الصباغ في شرح الحديث إنَّ الإنسان ضعيفٌ بنفسه، قويٌّ بإخوانه، ويصف تشبيه الرَّسول بالبنيان بأنَّه عجيب، لأنَّ الجدار الواحد من البنيان لا يمكن أن يبقى ثابتًا لمدة طويلة، لكنَّه إذا ضم إليه بقية جدران البنيان وسقفه وبيوت عن يمينه ويساره يصبح أقوى، وأكثر رسوخًا واحتمالًا؛ مكتسبًا القوة والشدة

والمقاومة من انضمام وتجمع أجزاء البناء معًا، وكذلك المؤمن يصبح بإخوانه أقوى وأشد وأكثر مقاومة وقادرًا على تحقيق ما يريد من الخير بتعاونه مع إخوانه المؤمنين ومساندتهم له [96].

والتصوير بالإشارة والحركة والرسم، لون من ألوان التصوير التي توضح الفكرة وتبين المراد؛ فالإشارة إذا كانت في محلِّها كانت معينة على الفهم، لافتة للنظر، جالبة للتركيز، مشركة أكثر من حاسة في المتابعة، بحيث يسمع الشخص العبارة ويرى الإشارة، فيذكِّر كلٌّ منهما بالأخرى، وكذلك الحركة والإشارة في الأحاديث الشريفة، حركات معبِّرة، تلفت النظر، وتنبِّه الغافل، وتعين على الحفظ والتذكر [97]، ومنها حركة تشبيك الأصابع في الحديث الشريف التي دلَّت على قوة وتماسك المؤمنين وتقوية بعضهم بعضًا[98].

فالرسول عمد في الحديث السابق إلى تمثيل المعنى وتصويره تصويرًا جسديًا قائمًا على هيئة تشبيك الأصابع للدلالة على التعاضد والتكاتف والتعاطف، وهو المعنى الذي أراد الرسول صلى الله عليه وسلم إيصاله، فتلك الحركة التي يسميها مهدي عرار حركة التداخل والاختلاط، مرادفة في دلالتها لدلالة البنيان المتماسك الذي يشدُّ بعضه بعضًا، ورافدة في الوقت نفسه لدلالة اللفظ في الحديث، ومعزِّزة لها، ولذلك يمكن عدُّها-كما ذكر مهدي عرار-توكيدًا حركيًا قائمًا مقام التوكيد اللفظي [99].

والحركات الجسديَّة في الحديث الشريف متنوِّعة؛ فبعضها مُلمِحة، وبعضها مصرِّحة بدلالات، وأحيانًا تقوم تلك الحركات والإيماءات مقام كلمة أو كلمات أو جمل، وأحيانا تكون معزِّزة للمعنى الذي أداه الكلام المنطوق، وأحيانًا تكون هي وسيلة تجلية المعنى أو تمثيله [100].

ويرى عرار أنَّ حركة تشبيك اليدين في رسم صورة البنيان المرصوص من الحركات والهيئات المقصودة المجتلبة المُستدعاة قصدًا لحاجات في النفس وليست حركة فطرية أو تلقائية [101]، ويصنِّفها بأنَّها من الحركات التي تأتي معزِّزة ومؤكِّدة للمعنى، حيث تنقسم حركات لغة الجسد إلى قسمين من الوجهة الوظيفية، وهما [102]:

1. الحركات المُنظِّمة المُرقِّمة (Punctuatior)، وهي لا تضيف معنى مخصوصًا، وإنما تؤكد المعنى وتُعزِّزه.
2. التشخيصية (Iconic) وتسمى الكاشفة (Deictic)، وهي الحواملُ للمعنى، والنواقل له.

وقد وضَّحت اللغة اللفظية المنطوقة من خلال التشبيه المفصَّل أهمية وقيمة المؤمن بالنسبة إلى إخوانه المؤمنين، حين شبه تلك الأهمية والقيمة بشيء مرئي وملموس، وهو قيمة وأهمية كلِّ ركن من أركان البنيان في تماسكه، وجاء التشبيه –وهو أحد أشكال اللغة الوجدانية اللفظية المستمدَّة من المصدر الإبداعي والجمالي- داعمًا المعنى يوضِّحه ويُمكِّنه في النَّفس، وكذلك جاءت الحركة وهي اللغة غير اللفظية المصاحبة، وفي ذلك يذكر عبد العليم أنَّ حركة التشبيك بين الأصابع توضِّح مقدار القوة الناجمة من الاتحاد، كما توضحها جملة "يشد بعضه بعضًا"، وهي " إشارة لمقصود التمثيل، وتصوير المعنى في النفس بصورة الحس" [103].

وبالنَّظر إلى الحديث السابق يتَّضح أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلَّم لم يكتفِ في إيصال المعنى بقوله -على سبيل المثال-: يجب على المؤمنين الاتحاد والتماسك؛ لأنَّ الرَّسول عليه البلاغ المبين، فهو يُبلِّغ ويعلِّم ويؤثِّر ويقنع ويمكِّن الأمر من نفوسهم وحياتهم حتى يلامس وجدانهم؛ فيخرج إلى حيِّز التطبيق الواعي بعد ذلك؛ ولذلك استعمل أشكالًا تعبيرية وجدانية مُتعدِّدة في مخاطبة مشاعر المؤمنين، واستثارة عواطفهم تجاه إخوانهم المؤمنين، وتوجيههم إلى العلاقة التي يجب أن تكون بينهم؛بدءًا بالإيجاز الشديد في الألفاظ مع تكثيف المعنى؛ إيجازًا بليغًا لم يمنع من التكرار، ولكنَّه التكرار البليغ الذي زاد المعنى وضوحًا

وتركيزًا في أذهان السامعين، علاوة على ما أحدثه من إيقاع وانسجام صوتي يجذب الأسماع والقلوب؛ حيث تكررت الكلمات: المؤمن، للمؤمن، بعضه بعضًا، وتكررت أصوات معينة لها تأثيراتها، إضافة إلى دلالة الكلمات ومعانيها الأساسية والإيحائيةفي هذا الحديث الذي هو من جوامع الكلم؛ حيث لخصعلاقة المؤمن بالمؤمن في أقل من سطر، ومن خلال جملة اسمية وأسلوب خبري، ليس فيه توجيه صريح أو أمر أو نهي، مع أنَّه دعوة إلى أن تكون علاقة المؤمنين ببعضهم كعلاقة أجزاء البنيان ببعضها، علاقة تماسك وتعاضد وتلاحم وتعاون، وجاءت بعد الخبر (شبه الجملة: "كالبنيان") جملة فعلية فعلها مضارع؛ وهو: "يشدُّ"، دلالة على الحال والاستقبال والاستمرار، وكان يمكن الاكتفاء بشبه الجملة، ولكنَّ مزيدًا من التوضيح تحقَّق بجملة الحال "يشدُّ"، وفعلها الذي يدل على استمرار هذه العلاقة بين المؤمنين، كما تحقَّق التأكيد والإبلاغ والتمكين بدعم تلك الأشكال اللغوية اللفظية بلغة الجسد المتمثِّلة في حركة تشبيك الأصابع الشَّريفة، ولا يغيب أنَّ المقصود هو المؤمن إيمانًا كاملًا كما ذكر شُرَّاح الأحاديث النبويَّة في مثل هذا التعبير، بمعنى أنَّ المؤمن إيمانًا كاملًا يكون لإخوانه المؤمنين مناصرًا ومعاضدًا ومعاونًا، حتى يكون المؤمنون في تماسكهم وتعاونهم كالبنيان الذي لا يقوم ويتماسك إلا بتماسك وتلاحم كلِّ أجزائه.

الحديث الثالث:

"حَدَّثَنَا أَصْبَغُ، عَنْ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرٌو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ: "قَدْ قَضَى"، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَوْا، فَقَالَ: " أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا -وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ -أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ". وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَضْرِبُ فِيهِ بِالْعَصَا، وَيَرْمِي بِالْحِجَارَةِ، وَيَحْثِي بِالتُّرَابِ [104] [105].

دلَّت الإشارة باليد إلى اللسان في الحديث الشريف السابق على تأكيد العذاب على ما يصدر عن اللسان حزنًا على الميت؛ من ندب واعتراض وغيره من منكرات اللسان وقت الفجيعة على الميت، والتي يبتغي بها المفجوع التنفيس عن انفعال الحزن الشديد داخله، ويرى أحمد عبد العليمأنَّ الجملةكان يمكن أن تكون: (ولكن يعذب باللسان)، لكنَّ تأكيد وجود العذاب من خلال الإشارة إلى اللسان باسم الإشارة لفظًا وبالإشارة باليد، تخويفٌ لمن يفعل ذلك، وقد عبر عن اللسان باسم الإشارة (هذا) مبالغة في التأكيدوتركيز الاهتمام وجذبه إلى لبِّ الموضوعوسبب العذاب [106].

ففي استخدام الإشارة الجسدية تركيز للاهتمام -بعد نفي تعذيب الله على حزن القلب ودمع العين- على الأمر الذي سيعذب الله عليه، فأنظار السامعين وأبصارهم متجهة إلى الرسول لمعرفة على ماذا سيكون العذاب، ولم يُصرح الرسول باسم اللسان وإنما أشار إليه، لأن اللسان أقرب الأعضاء لاستجلاب العذاب، ولأن الموقف فيه انتظار وترقب وانفعال، فالإشارة أسرع في هذا الموقف الانفعالي-الذي بدا فيه إنكار الموجودين لبكاء النَّبي كما ذكر ابن حجر في شرح الحديث؛ حيث ذكر أنَّ سؤال الرَّسول بمعنى: ألا توجدون السماع؟ فهو تحضيض للحاضرين-الذين كانوا يبكون-على سماع ما يقوله، وفيه إشارة إلى أنه فَهِم من بعضهم الإنكار، فبين لهم الفرق بين الحالتين، وهو أنَّ الله يُعذِّب باللسان إن قال سوءًا، ويرحم إن قال خيرًا، أو كما ذكر أنَّه يحتمل أن يكون معنى قوله: " أو يرحم "؛ أي إن لم ينفذ الوعيد [107].

وقد استعمل الرسول الإشارة باليد إلى اللسان، واكتفى معها بذكر اسم الإشارة، ولم يذكر كلمة اللسان صراحةً، للفت الانتباه إلى خطورته، والتأكيد على وجوب الحذر ممَّا يصدر عنه، وإثارة خوفهم في هذا المقام الذي قد يفقد الإنسان فيه صبره ويجزع من شدَّة الحزن والألم، فيتكلَّم بما لا يجوز من الكلام، مما فيه إظهار السخط وعدم الرِّضا بقضاء الله وقدره، فيكون ذلك سببًا للعذاب، ولذا جاء الوعيد بالعذاب، وجاءت الإشارة تأكيدًا لوجوده، إضافة إلى أنَّها أبلغ في المقام وأكثر مناسبة لأنَّ الإنكار كان لما رأوه وشاهدوه من بكاء النبي بعينيه، فدفع عنهم ظنَّ العذاب بسبب بكاء العينين إلى تأكيد العذاب بمعصية اللسان، إضافة إلى أنَّ المقام مقام حزن ولا مجال فيه للإطالة، فالإشارة أسرع في الإبلاغ ولاسيما وهم ينظرون إليه، وفيهم-كما يظهر والله أعلم وكما سبق أن ذكر ابن حجر- من استنكر بكاءه، كما أنَّ الانصراف إلى غير المتوقع أكثر إثارة للاهتمام، حيث المتوقع أنَّ يكون توضيح الموقف قولًا، فلمَّا تصدرت الإشارة النبوية إلى اللسان، كان هذا أكثر لفتًا للانتباه، وأكثر تقريرًا وثباتًا في الذِّهن، وأبقى في النَّفس والوجدان.

الحديث الرابع:

"حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو المُنْذِرِ الطُّفَاوِيُّ،عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُجَاهِدٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: " كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"[108].

وضع الرَّسول ﷺ يده الشريفة على منكب عبد الله بن عمر لتدعم لغة الجسد بهذه الحركة لغة اللسان التي تمثَّلت في أشكال متنوِّعة من اللغة الوجدانية المستقاة من مصادر مختلفة[109]، ولتجمع اهتمام عبد الله بن عمر وتهيئه فكريًا وشعوريًا للآتي من القول، وتلفت انتباهه إلى عظم الأمر الذي أمره الرَّسول ﷺ به؛ حيث وضع اليد الشريفة يحمل في طياته -علاوة على الحسم الذي آزر استعمال فعل الأمر في الحديث- الكثير من معاني المودَّة والحظوة وحبِّ الرسول ﷺ لعبد الله بن عمر، وحرصه على تبصيره وتبصير أمَّتِه التي تتلقى هذا الحديث إلى يوم الدِّين بحقيقة الدُّنيا وكيفية التعامل معها.

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ: عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطُوطًا، فَقَالَ: " هَذَا الْأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ " [110].

إنَّ المتتبِّع لأحاديث المصطفى ﷺ يلاحظ تنوّع أساليب الإبلاغ والتعليم والتأثير والإقناع المفضي إلى التمكين، بما يتناسب مع احتياجات النفس البشرية وما قد يعتريها من حالات الملل والفتور وغيرها من الحالات التي تعترض تجرد النفس البشرية للتلقي، ويظهر ذلك من خلال استعماله ﷺ لأشكال تعبيرية متنوعة لفظية وغير لفظية، تخاطب الفكر والوجدان، ومنها استعانته ﷺ في هذا الحديث-وهو الرسول الأمّيّ في قومٍ أمّيين- بالرسم التمثيلي التوضيحي للفت انتباه الصحابة وجذب اهتمامهم، ولتجلية المعنى وتوضيحه وتقريبه إليهم، حيث خطَّ- صلى الله عليه وسلَّم- خطوطًا، وقد ذكر الكرماني أنَّه اقتصر على اثنين اختصارًا، وأنَّ الخط الآخر الإنسان، والخطوط الأخر الآفات [111]، ولعلَّ شرحهما في الحديث لأنهما أهمُّ خطين في حياة الإنسان، وبحذره من الأول، واستعداده للثاني، تستقيم حياته بإذن الله، والخط الأول يُمثِّل الأمل الذي يغترُّ به الإنسان ويلتهي به عن الاستعداد للآخرة، والخطَّ الثاني يمثِّل الأجل الذي لا يمهل الإنسان، وإنَّما يباغته وهو غافل قد طال أمله، وبينما هو في هذه الغفلة يباغته الخط الأقرب وهو الأجل الذي لابد أن يأتي مهما طال عمر الإنسان، وطال أمله في الحياة الدنيا ومتاعها، وذكر ابن حجر أنَّ الأحاديث متوافقة على أنَّ الأجل أقرب من الأمل [112]، وكذلك أكَّد الكرماني [113].

والرَّسول يقرِّر حقائق في حياة الإنسان بهذا الحديث، ولا ينكر إحداها، ولا يرفض الأمل والاستمتاع بما في الحياة ممَّا أحلَّ الله، وما فيها من زينة ومتاع، ولكنَّه يرفض الانغماس في ذلك ونسيان الموت والآخرة، ويلفت انتباه المسلم ويحذِره من طول الأمل الذي يظل مرافقًا للإنسان إلى مماته، وقد يكون سبب هلاكه، إذا لم ينتبه إلى الخط الأقرب وهو الأجل الذي يأتي بغتة، فيأخذ حذره ويستعد له بعمل الصالحات وترك المنكرات والتوبة من المعاصي، وقد استعمل الرسم لتوضيح هذه الفكرة وتبسيطها وتقريبها إلى الأذهان وتثبيتها في الوجدان، وتوضيح المعنى بهذه اللغة المصاحبة للغة الملفوظة يعدُّ مؤكِّدا حركيًا مصاحبًا للفظ الرَّسول يقوم مقام التأكيد اللفظي ويؤدي دورًا مشابهًا، إلا أنَّ اشتغال حاسة البصر إلى جوار حاسة السمع يزيد المعنى وضوحًا وجلاءً وثباتًا لدى الحضور، ولأهميَّة حركة الرسم التمثيلي التي صاحبت لغة الحديث الملفوظة في معنى الحديث نقلها الرُّواة وصفًا من خلال اللغة الملفوظة، فظلَّت ترتسم في أذهان كلِّ قارئي الحديث وسامعيه عبر الأزمان وتصوِّر لهم تضارب طول الأمل مع الأجل، وقرب الأجل ومباغتته للإنسان، فتكون رادعًا لهم عن الانغماس في متاع الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة أو ارتكاب المحظورات والمكروهات اغترارًا بالسلامة وإمهال الله عزَّ وجلَّ.

وذلك ما يؤكِّده الصَّبَّاغ؛ حيث يرى أنَّ تصوير المعنى بالرسم أسلوب تعليمي يجلو المعنى ويوضِّحه أتم توضيح، وأنَّ استعمال الرسم كأداة للتوجيه والإبلاغ في قوم أميين مستوى رفيع في التوجيه والإبلاغ[114].

ويذكر مهدي عرار أنَّ نقل هذه النماذج من لغة الجسد الشريف تدلُّ دلالة واضحة على أنَّ الرُّواة والمصنِّفين في الحديث الشريف عدُّوها جزءًا من الحديث الشريف الذي يُحرَص على رواية حركته كما يُحرَص على رواية لفظه[115]؛ لأنَّ كلاهما يؤدي دوره في التعبير والإفهام والتأثير والإقناع والإبلاغ والتمكين؛ بل وكما سبق أن بعض الأبحاث أعلت من قيمة اللغة غير المنطوقة في إيصال الرسالة، وجعلتها تتصدر المقام الأول في التعبير والتأثير وتتقدَّم على اللغة المنطوقة في ذلك.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،وبعد:

فاللغة قوة عظمى، والجانب الوجداني منها بشقيه اللفظي وغير اللفظي أحدُ أهمِّ أسلحتها التي تبني به وتهدم وتغيِّر حياة البشر ووجه الكون؛ ذلك لأنَّها تخاطب العواطف والمشاعر والانفعالات، تخاطب القلوب التي هي أساس الصلاح والفساد في حياة البشر، والتي هي الجسر للعقول، ولاأدل على ذلك من أنَّها الأداة التي استعملها القرآن والحديث كثيرًا في التأثير في النَّاس لهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإقناعهم بتغيير معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم،كما أنَّ حضور اللغة الوجدانية في الجانب الدِّيني والتشريعي وهو أكثر الجوانب حيادية وموضوعية، ولاسيما في الواجبات والفرائض والمحرَّمات، ينبئ عن أنَّ وجودها في سائر مجالات التعامل البشري أمر مفروغٌ منه، وينبئ عن حضورها في الكلام الإنساني على اختلاف ألوانه ومجالاته، ويلفت النَّظر إلى أثرها في التفاهم والتواصل بين البشر، ودورها في التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وعواطفهم وانفعالاتهم، والتأثير فيها، وصولًا إلى إحداث الاستجابات المطلوبة وتحقيق الأهداف المنشودة، وقد استعمل الرَّسول أشكالًا متعدِّدة من اللغة الوجدانية غير اللفظية إلى جانب الأشكال اللفظية للحث والترغيب والتشجيع والأمر والنهي والتحذير ورسم شكل العلاقة بين المؤمنين، وشكلها بين المؤمن وبين الدنيا،وغير ذلك من أمور أساسية في حياة كلِّ مسلم،واستعماله اللغة الوجدانية-لفظية وغير لفظية-في الإبلاغ والتأثير والإقناع والتمكين في الحديث الشريف-وهوأفصح وأبلغ كلام بشري- يدلُّ على أنَّها من أساسيات الكلام البليغ، وكلا الأمرين يدعوان إلى إعطائها الأهمية التي تستحقها من الدِّراسة والبحث في مصادرها وأشكالها وتطبيقاتها ووظائفها في مجالات الحياة الإنسانية جميعها، وعلى جميع الأصعدة فرديًا ومجتمعيًا ومحليًا وعربيًا وعالميًا.

والحمدُ لله ربِّ العالمين

الهوامش والتعليقات:

([1]) أشار في كتابه إلى أنَّه تأثَّر برأي بعضِ الأسلوبيين، وعلى رأسِهم رائد الأسلوبية شارل بلي الذي أوحى إليه بهذه الأهمية للعنصر العاطفي فيَ اللغة[(1)].

([2]) ينظر: جوزيف فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، (مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م) ، 182.

([3]) استعمل البحث مصطلح" اللغة الوجدانية" ولم يستعمل المصطلح المتداول "اللغة الانفعالية"؛ لشمول الأول الثاني حسب ما جاء في علم النفس؛ حيث يشمل الوجدان الانفعالات، والحالة المزاجية، والعاطفية، والمشاعر: يُنظر: محمد محمود بني يونس، سيكولوجيا الدافعية والانفعالات، ط 2، عمَّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 1429- 2009، 231.

([4]) الحج: 46.

([5]) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مراجعة وضبط وفهرسة: محمد علي القطب وهشام البخاري، (بيروت: المكتبة العصرية، 1433هـ-2012م) ، كتاب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث: 52، 1/ 41.

([6]) شرف الدين الحسين بن عبدالله بن محمد الطيبي، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (مكة- الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1417هـ- 1997م) ، 7/ 2101 و2101.

([7]) نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، ط3، (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1995م) ، 57.

([8]) محمد الأمين موسى أحمد، الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، (الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، 2003 م) 1096 وما بعدها.

([9]) المرجع السابق، 1104 وما بعدها.

([10]) المرجع السابق، 1106.

([11]) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السَّلام هارون، ط 7، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ-1998م)، 1/ 76.

([12]) المرجع السابق، 1/ 76.

([13]) المرجع السابق، 1/ 77- 79.

([14]) أبو منصور بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، فقه اللغة، تصحيح وضبط أحد الآباء اليسوعيين مدرس البيان في كلية القديس يوسف في بيروت (لم يُدوَّن اسمه) ، د ط، (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1885م) ، 97- 99.

([15]) المرجع السابق، 179- 182.

([16]) أحمد عارف حجازي عبد العليم، دراسات لسانية في الحديث الشريف، (القاهرة: دار فرحة للنشر والتوزيع، 2006م) ، 86- 89.

([17]) موفق الحمداني، علم نفس اللغة من منظور معرفي، (عمان-الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 1425هـ -2004 م) ، 222.

([18]) محمد محمود بني يونس، سيكولوجيا الدافعية والانفعالات، ط 1، (عمان: دار المسيرة، 2007 م) ، 340.

([19]) فاطمة محمد محجوب، دراسات في علم اللغة بحوث تطبيقية لغويَّة وقرآنية، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 1432هـ-2011م) ، 244 و246 و 253.

([20]) المرجع السابق، 246.
([21]) يُنظر: المرجع السابق، 259 وما بعدها.
([22]) المرجع السابق، 246 وما بعدها.
([23]) المرجع السابق، 276.
([24]) المرجع السابق، 251 وما بعدها.
([25]) المرجع السابق، 277.
([26]) يُنظَر: أحمد، مرجع سابق، 99- 111.
([27]) يُنظر: المرجع السابق، 89-96.
([28]) المرجع السابق، 91.
([29]) الحمداني، مرجع سابق، 222، ويُنظَر:أحمد، مرجع سابق، 92-94.
([30]) الحمداني، مرجع سابق، 223.
([31]) المرجع السابق، 225.
([32]) إدوارد ج. موراي، الدافعية والانفعال، ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة، ومراجعة: محمد عثمان نجاتي، (القاهرة: دار الشروق، 1408هـ- 1988م) ، 117.
([33]) الحمداني، مرجع سابق، 225.
([34]) موراي، مرجع سابق، 117 وما بعدها.
([35]) المرجع السابق، 120 وما بعدها.
([36]) الحمداني، مرجع سابق، 225 -227، ويُنظر: عمر عتيق، لغة الجسد، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، (جامعة آل البيت/ الأردن) ، م/ 9، ع/ 1، أيار 2013م، 13-15.
([37]) عودة عبد عودة عبد الله، الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين في ضوء القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، مجلة المسلم المعاصر، العدد: 112، (2004م) ، 23.
([38]) محمد الأمين موسى أحمد، مرجع سابق، 1105.
([39]) الحج: 72.
([40]) محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1415هـ -1994 م) ، 5/ 341 وما بعدها.
([41]) محمود بن عمر الزمخشري، الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبط وتوثيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، د ط، (بيروت- لبنان: دار الكتاب العربي، 2012م) ، 130/3.
([42]) المدثر: 19-25.
([43]) عمر عتيق، لغة الجسد، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، (جامعة آل البيت/ الأردن) ، م/ 9، ع/ 1، أيار 2013م، 14 وما بعدها.
([44]) جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، ط3، (بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي،1413هـ- 1993م) ، 9/ 20.
([45]) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، مراجعة وتعليق: أنس محمد الشامي، (القاهرة: دار الحديث، 1429هـ- 2008م) ، 633.
([46]) ابن منظور، مرجع سابق، 1/ 404 وما بعدها.
([47]) عتيق، مرجع سابق، 15؛ نقلًا عن جرجي زيدان، علم الفراسة الحديث، 159.
([48]) المرجع السابق، 15.
([49]) الثعالبي، مرجع سابق،140، وعتيق، المرجع السابق، 15.

([50]) الحمداني، مرجع سابق، 227 -230.
([51]) يُنظر: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1383هـ-1964م) ؛ باب الإشارة بالعين ، 31-33.
([52]) يُنظر: عتيق، مرجع سابق، 5 وما بعدها.
([53]) التوبة: 127.
([54]) محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، (لبنان-بيروت: دار الفكر للطباعة والنَّشر والتوزيع، 1401هـ-1981م) ، 16/ 239 وما بعدها.
([55]) الزمخشري، مرجع سابق، 2/ 242 وما بعدها.
([56]) عتيق، مرجع سابق، 7 وما بعدها، ويُنظَر للاستزادة: 8- 11.
([57]) الذاريات: 29.
([58]) عتيق، مرجع سابق، 12 وما بعدها.
([59]) الرازي، مرجع سابق، 28/ 215.
([60]) الطبري، مرجع سابق، 7 / 117.
([61]) الزمخشري، مرجع سابق، 4/ 304.
([62]) الرازي، مرجع سابق 28/ 214 وما بعدها.
([63]) الزمخشري، مرجع سابق، 4/ 304.
([64]) الطبري، مرجع سابق،7/ 117.
([65]) الرازي، مرجع سابق، 28/ 215.
([66]) عتيق، مرجع سابق، 12.
([67]) الطبري، مرجع سابق، 7/ 117.
([68]) هود: 72.
([69]) الطبري، مرجع سابق، 295.
([70]) هود: 73.
([71]) الطبري، مرجع سابق، 4/ 295.
([72]) الزمخشري، مرجع سابق، 2/ 304.
([73]) الحمداني، مرجع سابق، 230 وما بعدها.
([74]) المرجع السابق، 227 -230.
([75]) يُنظَر: عتيق، مرجع سابق، 15- 25.
([76]) الحمداني، مرجع سابق، 232 وما بعدها.
([77]) يُنظر: المرجع السابق، 233 وما بعدها.
([78]) المرجع السابق، 234 وما بعدها.
([79]) محجوب، مرجع سابق، 361- 368.
([80]) المرجع السابق، 269- 277.
([81]) الحمداني، مرجع سابق، 235.
([82]) علي الطنطاوي، صور وخواطر، ط 5، (جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، 1424هـ/ 2003م)، 382.
([83]) يحيى علي أحمد،المؤشرات الصوتية الدالة على التعبير عن العواطف، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة،(2010م) ، العدد 53، 495.
([84]) المرجع السابق، 486 وما بعدها.
([85]) الطنطاوي، مرجع سابق، 374- 382.

([86]) تعدَّدت تعريفات قصيدة الومضة؛ ومنها تعريف هايل الطالب وأديب محمد بأنَّها: "قصيدة الدفقة الشعورية الواحدة التي تقوم على فكرة واحدة، أو حالة واحدة يقوم عليها النص، تتكون من مفردات قليلة، وتتسم بالاختزالية التي تجعل طول هذه القصيدة لا يتعدى الجمل القليلة التي تتشكل بطريقة لماحة وامضة سريعة معتمدة على تقنيات فنية متعددة"(هايل محمد الطالب وأديب حسن محمد، قصيدة الومضة دراسة تنظيرية تطبيقية، الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، 1430هـ- 2009م) ، 14.

([87]) يُنظَر: عبد العليم، مرجع سابق، 91- 130.

([88]) البخاري، مرجع سابق، رقم الحديث: 6005، كتاب الأدب، باب: فضل من يعول يتيمًا، 1900/4.

([89]) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (القاهرة: الدار العالمية للنشر والتوزيع، 1434هـ-2013م) ، 13/ 460 وما بعدها.

([90]) المرجع السابق، 13/ 460.

([91]) مهدي عرار، التواصل غير اللفظي في الحديث النبوي الشريف: دراسة في لغة الجسد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت،الحولية 30، الرسالة 304، ديسمبر 2009م، 22.

([92]) يُنظر: العسقلاني، مرجع سابق 13/ 461.

([93]) عرار، مرجع سابق، 61.

([94]) البخاري، مرجع سابق، رقم الحديث: 6026، كتاب: الأدب، باب: تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا،4/ 1905.

([95]) العسقلاني، مرجع سابق 13/ 479، و محمد بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني، صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني المسمَّى بالكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري، (بيروت: لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1401هـ-1981م) ، 21/ 179.

([96]) محمد الصبَّاغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1409هـ-1988م) ، 448.

([97]) المرجع السابق، 525.

([98]) المرجع السابق، 530.

([99]) عرار، مرجع سابق، 63.

([100]) المرجع السابق، 23.

([101]) المرجع السابق، 91.

([102]) المرجع السابق، 21، نقلًا عن مايكل كورباليس، في نشأة اللغة: من إشارة اليد إلى نطق الفم، ترجمة: محمود عمر، 119.

([103]) عبد العليم،مرجع سابق، 93. (عن: فتح الباري، 1/ 566، كتاب المظالم).

([104]) البخاري، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، رقم الحديث: 1304، 389/1.

([105]) ذكر الشيخ ابن باز أنَّ فعل عمر ذلك من باب التعزير؛ يُنظر: العسقلاني، مرجع سابق، 4/ 61.

([106]) عبد العليم، مرجع سابق، 101.

([107]) العسقلاني، مرجع سابق 4/ 62.

(108) البخاري، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ "، رقم الحديث: 6416، 2016/4.

([109])ومن تلك الأشكال ومصادرها: النحوية كالأمر الصريح الحاسم باستعمال فعل الأمر "كن"، والجمالية والإبداعية كالإيجاز البليغ في إيصال المعاني العظيمة في أقلّ من سطر، و التشبيه المجمل الذي بني عليه الحديث، وما يوحي به ويستدعيه من المعاني، والمعجمية والدلالية المتمثلة في اختيار كلمتي" غريب، عابر سبيل"، وما لكلٍّ منهما من معنى أساسي ومن معانٍ هامشية وإيحائية... .

([110])البخاري، مرجع سابق، رقم الحديث: 6418، كتاب الرقاق، باب: في الامل وطوله ، 2017/4.

([111]) الكرماني، مرجع سابق، 22/ 196، وكذلك ذكر ابن حجر في فتح الباري، وذكر أنَّ الخطوط فُسِّرت في حديث ابن مسعود، 14/ 194.
([112]) العسقلاني، مرجع سابق 14/ 194.
([113]) يُنظر: الكرماني، مرجع سابق، 22/ 196.
([114]) الصَّبَّاغ، مرجع سابق، 525.
([115]) عرار، مرجع سابق، 87.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الحديث الشريف.

أحمد، محمد الأمين موسى، الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، د ط، الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، (2003م).

أحمد، يحيى علي، المؤشرات الصوتية الدالة على التعبير عن العواطف، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة،(2010م)، العدد 53: 479-496.

إدوارد ج. موراي، الدافعية والانفعال، ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة، ومراجعة: محمد عثمان نجاتي، ط 1، القاهرة: دار الشروق، (1408هـ-1988م).

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، د ط، صيدا: المكتبة العصرية، (1433هـ - 2012م).

الثعالبي، أبو منصور بن إسماعيل، الكناية والتعريض، تحقيق: عائشة حسن فريد، د ط، القاهرة: دار قباء للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، (1998م).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السَّلام هارون، ط 7، القاهرة: مكتبة الخانجي، (1418هـ -1998م).

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، د ط، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، (1383هـ-1964م).

الحمداني، موفق، علم نفس اللغة من منظور معرفي،عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، (1425هـ-2004م).

الرازي، فخر الدين محمد، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط 1، بيروت: دار الفكر للطباعة والنَّشر والتوزيع، (1401هـ-1981م).

ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مراجعة وتعليق: أنس محمد الشامي، د ط، القاهرة: دار الحديث، (1429هـ -2008م).

الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبط وتنسيق: ابي عبد الله الداني بن منير آل زهوي، د ط، بيروت: دار الكتاب العربي، (2012م).

الصباغ، محمد، التصوير الفني في الحديث النبوي، ط 1، بيروت: المكتب الإسلامي، (1409هـ - 1988م).

الطالب، هايل محمد ومحمد، أديب حسن، قصيدة الومضة دراسة تنظيرية تطبيقية، ط 1، الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، (1430هـ -2009م).

الطَّبري، محمد بن جرير، تفسير الطَّبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، ط 1، بيروت: مؤسسة الرسالة، (1415هـ -1994 م).

الطنطاوي، علي، صور وخواطر، ط 5، جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، (1424هـ -2003م).

الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط 1، مكة والرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، (1417هـ -1997م).

عبد العليم، أحمد عارف حجازي، دراسات لسانية في الحديث النَّبوي، ط 1، القاهرة: دار فرحة للنَّشر والتوزيع، (2006م).

عبد الله، عودة عبد عودة، الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين في ضوء القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، (2004م)، مجلة المسلم المعاصر، العدد: 112، 23.

عتيق، عمر، لغة الجسد في القرآن الكريم، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، (2013م)، المجلد 9، العدد 1: 5-15.

عرار، مهدي، التواصل غير اللفظي في الحديث النبوي الشريف: دراسة في لغة الجسد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، (2009م)، الحولية 30، الرسالة 304: 8-124.

العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط 1، القاهرة: الدار العالمية للنشر والتوزيع، (1434هـ -2013 م).

عطية، نوال محمد، علم النفس اللغوي، ط 3، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، (1995م).

فندريس، جوزيف، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، د ط، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، (1950م).

الكرماني، محمد بن علي بن سعيد شمس الدين، صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني، ط 2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (1401هـ -1981م).

محجوب، فاطمة محمد، دراسات في علم اللغة بحوث تطبيقية لغويَّة وقرآنية، ط 1، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، (1432هـ -2011م).

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، ط 3، نسّقه وعلق عليه ووضع فهارسه: مكتب تحقيق التراث، بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، (1413هـ -1993م).

بني يونس، محمد محمود، سيكولوجيا الدافعية والانفعالات، ط 2، عمَّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، (1429هـ -2009 م).